


بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النيلين

كلية الدراسات العليا

كلية الآداب – قسم التاريخ

المماليك ودورهم في إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام

(648- 702هـ / 1249 - 1303م)

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ

إعداد الطالب:

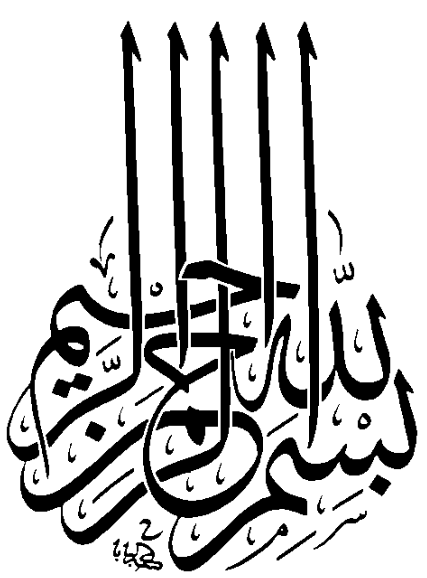
مزمل حسن الصديق الطيب

إشراف البروفيسور:

سيف الإسلام بدوي بشير

1438هـ ــــ 2017م

استهلال



﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)﴾

سورة الأنفال: الآية [60]

صدق الله العظيم

إهداء

إلى من أوصاني ربي بهما إحسانا أمي وأبي حفظكما الله ورعاكما .

إلى أسرتي الكريمة التي شدت من أزّري .

إلى أخي فخري رمز الفخار الذي تعلّمت منه الصُمود .

إلى زوجي الحبيبة ...والسيدتان مريم وفاطمة قُرَّت عيني .

إلى جميع الأصدقاء الذين لم يغيرهم الزمن .

أهدي هذا البحث

شكر وعرفان

الشكر أولاً وأخيراً لله رب العالمين الذي أنعم علي بالصحة والصافية وأعانني على **إكمال هذا البحث.**

الشكر إلى أسرة جامعة النيلين كلية ا الدراسات العليا ,كلية الآداب , قسم التاريخ التي أتاحت لي فرصة الدراسة وأتقدم بالشكر والامتنان إلى البروفيسور:

سيف الإسلام بدوي بشير

الذي تكرم بالإشراف على هذا البحث ولم يبخل بتقديم النصح والإرشاد حتى خرج هذا البحث بهذه الصورة.

الشكر إلى أساتذة جامعة النيلين وأخص بالشكر أساتذة قسم التاريخ.

الشكر إلى الذين لم يسعني أن أذكرهم فلهم مني الشكر والتقدير .

الباحث

مستخلص البحث

تتناول هذه الدراسة موضوع المماليك ودورهم في إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام (648_702ه / 1249_1303م) باعتبار أن هذه الفترة من الفترات المهمة في التاريخ الإسلامي , أمّا منهج الدراسة فهو المنهج التاريخي الوصفي التحليلي , وتظهر أهمية في أنها تعكس جانباً مهماً من تاريخ الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك .

إن الهدف من هذه الدراسة هو التعرف على دور المماليك في إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام في الفترة من (648_702ه /1249_1303م) وقد شهدت هذه الفترة ظهور حكام أقوياء أمثال بيبرس ,وقلاوون ، والأشرف خليل ، والناصر محمد ، الذين كان لهم دور كبير في توحيد الجبهة الإسلامية ، وإحياء سنة الجهاد ضد الصليبيين والتي انتهت بإخراجهم من بلاد الشام بعد كفاح مرير .

يحتوي هذا البحث على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع والفهرست ، يشتمل التمهيد على الأوضاع السياسية في بلاد الشام ، وأصل المماليك ، وكيفية انتقال الحكم إليهم من الأيوبيين ، وماهية الحروب الصليبية .

والفصل الأوّل يتحدث عن جهاد السلطان بيبرس ضد الصليبيين وموقفه من الحملتين الصليبيتين البرتقالية والإنجليزية ، وحملته الأخيرة في بلاد الأناضول ، وكيفية وفاته .

أمّا الفصل الثاني فهو يتناول التحالف الصليبي _المغولي أيّام السلطان قلاوون ,و اتفاقياته مع الفرنج ، ثم معارك التحرير ضد الصليبيين ، بدءا بعركة حمص ، وتحرير حصن المرقب ،

وتحرير مدينة طرابلس الحصينة ، واستعداده لفتح مدينة عكا فحال الموت بينه وبين تحقيق حلمه

وفي الفصل الثالث تناول الباحث انتصارات الملك الأشرف خليل، وخلفائه من بعده ضد الصليبيين والتي انتهت بإخراجهم من بلاد الشام نهائيا في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، بعد أن مكثوا في بلاد الشام أكثر من مائتين عام .

وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها :

1- إن قيام دولة المماليك جاء نتيجة لتفكك العالم الإسلامي , وبالتالي بروزهم كقوة جديدة مسيطرة على المنطقة .

2- إن أوضاع الصليبيين المتدهورة كانت عاملاً مهماً في القضاء عليهم

Abstract

This study is taking into account the Mamluks and their role in ending the exist ence of the Crusaders in the levant in the period from(648-702/1249-1303)because this era is an important one in the Islamic history , the study takes the historical descriptive and analytical me tlnod , important part of Islamic jehad against Crusaders

The purpose of this study is to identify the role of the Mamluks in ending the Crusader presence in the levant in the period from (648-702 /1249-1303). This period witnessed the emergence of powerful rulers such as Al-zaher Baybars ، and Qallawun ، and Ashraf Khlil and Nasser Muhammad ,who played a major role in unifying the Islamic Front and reviving the Year of Jihad against the Crusaders ، which ended with their expulsion from the Levant after a bitter struggle .

This research contains an introduction ، a preface ,three chapters ,a conclusion ، a list of sources ,references and a catalog .The preface includes the political situation in the Levant ,the Mamluks ,the rule of the Ayyubids ,and the Crusades .

The first chapter talks about the jihad of Sultan against the Crusaders and position on the Orange and English ،and his last campaign in the country of Anatolia ،and how to die .

The second chapter deals with the Crusader-Mongol alliance during the days of Sultan Qalawan ,his agreements with the Franks ,and then the battles of liberation against the Crusaders ،starting with the Battle of Homs ,liberating the fort of the watchtower ,liberating the fortified city of Tripoli and his willingness to open the city of Acre .

The third chapter deals with the victories of King Ashraf Khalil and his allies after him against the Crusaders ,which ended with their expulsion from the Levant during the reign of Sultan Al-Nasir Muhammad Ibn

Qalawan ،after they stayed in the Levant more than 200 years .

The study arrived to the following:

1 – The Mamluks state comes due collapse of the Islamic work there fore they become the now power to the area bad

2- The stats Crusaders help in destring them

فهرس الموضوعات

الإطار العام للبحث

المقدمة :

كان الشرق العربي الإسلامي في العصر الوسيط يعيش انقساماً داخلياً عنيفاً، من الناحيتين السياسية والدينية، فمن خلافة سياسية في بغداد إلى خلافة فاطمية في القاهرة، وبسبب هذا الانقسام عاشت بلاد الشام صراعاً مريراً بين الخلافتين، وفي خضم هذه الأحداث، وفي غفلة من العباسيين وتغافل من الفاطميين، تمكن الصليبيون من احتلال بيت المقدس وأجزاء كبيرة من العالم الإسلامي .

وقد شكل هذا الاحتلال الصليبي تحدياً خطيراً للأمة الإسلامية، وأمام هذا التحدي هب الرأي العام الإسلامي بكل وعي وحماس، ونادى بالجهاد لإخراج الصليبيين، فكان عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي .

أمّا فيما يتعلق بالمماليك ودورهم في إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام، فقد أسس المماليك دولة مترامية الأطراف شملت مصر وبلاد الشام، وامتدت حركة الجهاد الإسلامي للدفاع عن الدين والأرض ضد الأخطار التي هددت المنطقة من جانب الصليبين والمغول ، وأحرزوا باسم الدين انتصارات باهرة، وما زالت أسماء عين جالوت، والمنصورة، وأنطاكية، وطرابلس، وعكا، وحمص، وشقحب، حية في التاريخ تشهد لهم بالبطولة والشجاعة والوفاء .

فالدولة المملوكية من أغنى الدول بحكامها الأقوياء أمثال : بيبرس، وقلاوون والأشرف خليل، والناصر محمد، الذين أسسوا دولة واسعة الأرجاء قضت على بقايا الصليبيين، وترتب على ذلك تحصين الشرق الإسلامي ضد اعتداءات المغيرين والمغتصبين، وحياة حافلة بالمنجزات الإنشائية والعمرانية والاقتصادية والثقافية والدينية .

أهمية البحث :

تنبع أهمية البحث فـــي أنها تعكس جانباً مهماً من تاريخ الجهاد الإسلامي ضد الصليبيـــن فـــي عـــهد الممـــاليك فـــي الفترة مـــن (648_702هــــــ /1249 _1303م) , فكـــان

حرص الباحث أن تكون هذه الدراسة شاملة ووافية تجمع حقائق تاريخية متناثرة لها علاقة بالدراسة .

أهداف البحث :

1_ أسباب قيام دولة المماليك .

2_ التعرف على دور المماليك في إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام .

3_ أوضاع الصليبيين عشية حكم بيبرس وقلاوون .

4_ جهاد بيبرس ضد الصليبيين .

5_ التعرف على معارك التحرير في عصر المنصور قلاوون والأشرف خليل وخلفائه ضد الصليبيين .

مشكلة البحث :

بعد الإطلاع والقراءة الأولية في موضوع المماليك ودورهم في إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام، اتضح للباحث أن مشكلة البحث تكمن في التساؤلات التالية:

1_ ما هي الأسباب التي أدت إلى قيام دولة المماليك ؟

2_ كيف كانت أوضاع الصليبيين عشية حروباتهم مع المماليك ؟

3_ ما دوافع المماليك لحرب الصليبيين ؟

4_ ما هي الوسائل التي أتبعها المماليك لحرب الصليبيين ؟

5_ كيف استطاع المماليك إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام ؟

6_ ما هي النتائج التي ترتبت على إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام ؟

منهج البحث :

المنهج الذي أتبعه الباحث في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي الوصفي التحليلي .

أسباب اختيار الموضوع :

هناك مجموعة من الدوافع حفزت الباحث وزادت حماسه في اختيار هذا الموضوع، متمثلة في الرغبة في إعطاء صورة واضحة عن المماليك ودورهم في إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام .

حدود البحث :

الحدود الزمانية: إن الفترة التي تبين نطاق الدراسة تبدأ منذ عام (648_702ه /1249_1303م) .

الحدود المكانية: بلاد الشام .

الحدود الموضوعية: دور المماليك في إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام .

الدراسات السابقة :

1. **حامد إبراهيم الشياب،** ثورات العسكر في العصر المملوكي في مصر وبلاد الشام، رسالة دكتوراه، جامعة النيلين، بتاريخ 1998م، أفادت في أصل المماليك وبداية ظهورهم ووصولهم للحكم.
2. **حامد إبراهيم الشياب،** العلاقات السياسية بين المماليك الجراكسة والعثمانيين في مصر بلاد الشام، رسالة ماجستيرغير منشورة ، جامعة النيلين، بتاريخ 1990م.
أفادت في عصر المماليك.
3. **عثمان عبد الحميد محمد عشري،** الأسطول والبحرية على عهد سلاطين المماليك في مصر، رسالة ماجستيرغير منشورة ، جامعة النيلين، بتاريخ 1970م.
أفادت في عصر المماليك.

هيكل البحث :

تشتمل الرسالة على مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع والملاحق .

أ_ المقدمة .

ب_ التمهيد : يحتوي على الأوضاع السياسية في بلاد الشام والتي أدت إلى قيام دولة المماليك، وأصل المماليك، وانتقال الحكم من الأيوبيين إلى المماليك، وماهية الحروب الصليبية .

الفصل الأوّل: يتحدث عن جهاد السلطان بيبرس ضد الصليبيين في أرمينية الصغرى، وموقفه من الحملتين الصليبيتين البرتقالية والإنجليزية، وغزوه لبلاد الأناضول .

الفصل الثاني: يتناول اتفاقيات الهدنة مع الفرنج في عصر المنصور قلاوون، ومعاركه ضد الصليبيين، واستعداده لفتح عكا .

الفصل الثالث: أوضح انتصارات الملك الأشرف خليل وخلفائه من بعده ضد الصليبيين والتي أدت إلى القضاء على الوجود الصليبي في بلاد الشام في عهد الناصر محمد بن قلاوون .

_الخاتمة .

_ المصادر والمراجع .

_ الملاحق .

_ الفهرست .

التمهيد

أولاً – الأوضاع السياسية في بلاد الشام :

في أواخر أيام صلاح الدين الأيوبي، جعل هذا السلطان كل اعتماده على أخيه سيف الدين العادل في تدبير شئون مصر، عند خروجه من القاهرة بجيشه سنة 1182م، وهي السنة التي لم يعد بعدها صلاح الدين إلى مصر، ثم حدث أن ولي العادل أمر حلب سنة 1184م وعهد صلاح الدين بأمر مصر إلى تقي الدين عمر ابن أخيه. غير أن العادل عاد إلى مصر بصحبة العزيز بن صلاح الدين بعد فشل تقي الدين في تدبير أحوالها[1].

وأعد صلاح الدين أولاده ليتولوا الحكم من بعده متجاهلاً لأولئك الذين ساعدوه من قبل، ألا وهم إخوته وأهله الذين التفوا حوله وقت الشدة، وكان على رأسهم أخيه العادل [2]. فولى الأفضل حكم دمشق، وحكم العزيز مصر، وبقيت حلب وشمال الشام من نصيب الظاهر غازي[3]، أما الملك العادل فقد أخذ الكرك والأردن، فضلاً عن الـــجزيرة وديار بكـــر، وكلها أقطاعات ثانوية متفرقة، لا تناسب أهمية العادل في الدولة[4].

لم تمض سنة على وفاة صلاح الدين، حتى نشبت حرب الوراثة بين أبناء البيت الأيوبي. مما أدى لتفسخ دولته بسرعة [5]،وسببها أن الأفضل كان سيء الطبع , فقد اقبل على العب ليله ونهاره وتظاهر بملذاته , ممّا أدى لخروج السلطان العزيز حكم مصر إلى الشام وحاصر أخاه الأفضل في دمشق , فخرج العادل لنجدة الأفضل لأنه خاف إذا استولى العزيز على دمشق

---

(1) الباز العريني، المماليك، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1967م، ص 34 – 35.

(2) عثمان عبد الحميد عشري، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، جامعة القاهرة فرع الخرطوم، وحدة الطبع والتصوير، ط2، 1992م – 1993م، ص 98.

(3) ابن العبري , يوحنا بن هارون بن توما، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطوان صالحاني، بيروت، دار الشرق، ط 3، 1992م، ص 223.

(4) سعيد عبدالفتاح عاشور، نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1987م، ص 277.

(5)قاسم عبده قاسم، أثر الحروب الصليبية في العالم العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1987م، ص 146.

فسيطمع في توحيد المملكة تحت يده , فتمت التسوية ورجع العزيز إلى مصر , غير أن الأفضل تمادي في لذاته ,وانتهز العادل الفرصة فذهب إلى العزيز في مصر واتفق معه على الخروج إلى الشام وعزل الفضل ,فخرجا وتم لهما ما أرادوا ,وتولى العادل حكم دمشق , في حين أخذ العزيز مصر وبيت المقدس ,أمّا الأفضل فقد تركت له صرخد(*) [1] .

على أن العادل رجع مسرعاً إلى القاهرة بسبب وفاة العزيز وقدوم الأفضل إلى القاهرة وصياً على ابن العزيز، وبعد صراع مع الملك الأفضل تمكن العادل من ضم مصر إليه بعد خلع المنصور بن العزيز,وهكذا أصبح العادل ملك مصر وبيت المقدس , وقد سلك في تحقيق هذا الهدف الطرق المشروعة وغير المشروعة. ولم يترك وسيلة إلا اتخذها، مادامت توصله إلى مأربه[2].وجعل أبناءه نوابا عنه في حكم الجهات الخاضعة له واحتفظ لنفسه بالإشراف العام على جميع الجهات في الدولة[3]

وبعد وفـــــــــــاة الكامــــل بويع العادل على مصـــر، واستولى ابنه الآخر نجم الدين أيوب على دمشق، وسرعان ما نشب بينهما الصـــراع، حتى استطاع الصالح نجم الدين توحيد الدولة الأيوبيـــــة، وبعد وفاته خلفه ابنه توران ولم يلبث أن قتل، ولعل أهــــــــــم ما ترتب على مقتله هـــــــــــو سقوط دولة الأيوبيين وقيام دولة المماليك في مصر والشام سنة 648هـ[4].

نتيجة لهذه الأطماع فقد ضعف العالم الإسلامي ضعفاً شديداً، وأصبح حكامه يستعينون على بعضهم البعض بأعدائهم، ورفض كل طرف نصرة أخيه، وتقووا بالمماليك الذين برزوا في مصر جرثومة الاضطراب والفوضى [5]، واشتد الغزو الصليبي والهجوم التتري الذي أخاف

(*) مدينة في سورية، تقع شرق بصرى وجنوب السويداء في جبل العرب (الدروز) .(محمد بن محمد بن حسن , المعالم الأثيرة في السنة والسيرة , دمشق ,الدار الشامية ,ط1, 1411ه

(1)الشيخ الأمين محمد عوض الله، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الخرطوم، مطبعة جامعة النيلين، ط1، 2008م,ص89.

(2) علي محمد الصلابي، الأيوبيون بعد صلاح الدين، دمشق، دار المعرفة، ط1، 2009م، ص 928.

(3) الشيخ الأمين محمد عوض الله، مرجع سبق ذكره، ص 90.

(4) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج2، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1999م، ص 849.

(5) الباز العريني، مرجع سابق، ص 146.

السكان، وأصبح طريق البر مهدداً، وطريق البحر يتهدده قراصنة النصارى في البحر المتوسط[1].

كـــــــما أن بلاد الشـــــــــــام كانت في حالة من الضعف والانقسام، أشد مما كانت عليه إيران، وخراسان والعراق. فلما شن المغول غاراتهم المدمرة على البلاد الإسلامية، كان مـــــــــن الطبيعي أن يقـــــــــــف حكام تلك المناطق في حالة عجز تام عن مد يد العون لإخوانهم في الشرق، حتى ظهر المماليك كقوة جديدة وقفت في طريق الزحف المغولي والصليبي.

ثانياً – أصل المماليك:

كان الرق منتشراً في العصور الوسطى، فكان الغلمان يجلبون من بلادهم إلى أسواق الرقيق، عن طريق النخاسين الذين يجلبونهم بالسرقة والخطف، وراجت تجارة الرقيق بسبب الغارات فنتج عن ذلك سبي الجواري والغلمان.

والأرقاء هم الترك والجركس والزنوج والفرس ... وغيرهم، والرقيق المماليك اسم لهم والرق الملك[2]. والمملوك جمعه مماليك، وهو العبد الذي يسبى ولم يملك أبواه، والعبد القن هو الذي ملك هو وأبواه[3]، والمملوك عبد يباع ويُشرى.

كان المماليك رقيقاً من أجناس متعددة[4]، فكانوا خليطاً من الأتراك والشراكسة والقبجاق , فالقبجاق كانت مساكنهم الأصلية حوض نهر أرتش , وتنقلوا حتى سكنوا حوض نهر الفولجا في جنوب روسيا الحالية , فعرفت تلك الجهات باسم القفجاق كما أطلق عليها اسم دولة المغول المسماة بالقبيلة الذهبية [5] ولم تلبث التسمية أن اتخذت مدلولاً اصطلاحياً خاصاً في التاريخ

---

(1) محمود شاكر، العهد المملوكي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط5، 2000م، ص 12.

(2) الأزهري , محمد بن أحمد بن الأزهري، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق: محمد خير الألفي، الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط1، 1399هـ، ص 427.

(3) ابن منظور , محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ج13، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ، ص 348.

(4) نقولا زيادة، دمشق في عصر المماليك، ترجمة: نقولا زيادة، بيروت، نيويورك، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ط1، 1966م، ص 24.

(5) حامد إبراهيم الشياب , ثورات العسكر في العصر المملوكي في مصر وبلاد الشام : 648-923هـ/1249-1524م, جامعة النيلين ,(رسالة دكتوراه غير منشورة ,بتاريخ 1998م) ص4 .

الإسلامي، إذ اقتصرت منذ عهد الخليفة العباسي المأمون على فئة الرقيق الأبيض، فهو أول من استخدم هؤلاء المماليك في شئون الحكم والسياسة بهدف الاعتماد عليهم في تدعيم نفوذه. [1]،

ويعتبر أحمد بن طولون أول من جلب المماليك الترك إلى الديار المصرية واستخدمهم في عسكرها[2]، فاقتفى أثره بعد ذلك الأيوبيون، ولما جاء الصالح نجم الدين أيوب جمع حوله عدداً كبيراً من المماليك ودربهم ليكونوا غالبية جيشه، وبنى لهم قلعة الروضة، لذلك سموا بالمماليك البحرية، والتي آل حكم البلاد فيما بعد إلى أيديهم فقامت دولتهم[3].

ثالثاً – انتقال الحكم من الأيوبيين إلى المماليك:

في منتصف القرن الثالث الميلادي وجه الصليبيون حملة كبيرة بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا إلى مصر بهدف الاستيلاء عليها، وفي أثناء الحملة توفي الصالح أيوب، فأخفت زوجه شجر الدر خبر وفاته خشية أن يهتز وضع المسلمين في المعركة، وأرسلت في الوقت نفسه تستدعي ابنه توران شاه من حصن كيفا [*] ليأتي على عجل ليتولى مقاليد الحكم، بعد أن تمت مبايعته بالسلطة الأيوبية في مصر في غيبته[4].

وفي هذه الأثناء وصل المعظم توران شاه إلى مصر فأعلنت وفاة الصالح أيوب وسلمته شجر الدر مقاليد الأمور، فأعد خطة كفلت له النصر على جيش لويس التاسع في معركة فارسكور الشهيرة التي وقعت في المحرم سنة 648هـــــ/1249م [5]وتناسى ما أبلاه مماليك أبيه. كما

---

(1)شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، بيروت، دار المعارف، ط3، ص 376.

(2) القلقشندي , أحمد بن علي بن أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، تحقيق: يوسف الطويل، دمشق، دار الفكر، ط1، 1987م، 3.

(3) ابن واصل ,أحمد بن واصل بن جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1325هـــ، ص 82.

(*) حصن كيفا: بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة، بين آمد وجزيرة ابن عمر، من ديار بكر، وكانت ذات جانبين، وعلى رجلتها قنطرة عظيمة (ابن عبد الحق , عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الإصلاح في أسماء الأمكنة والبقاع، ج 1، بيروت، دار الجيل، ط1، 1412هـــ، ص 407.

(4) أبو شامة , عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، تحقيق: عزة العطار، بيروت، دار صادر، ط2، 1974م، ص 187.

(5)– عثمان عبد الحميد عشري , الأسطول والبحرية على عصر سلاطين المماليك في مصر : 648– 922هـــــ/1249–1523م,جامعة النيلين ,(رسالة دكتوراه غير منشورة ,بتاريخ 1970م) ص 15 .

أخذ يتهدد زوج أبيه شجر الدر ويطالبها بمال أبيه وما تحت يدها من الجواهر، فداخلها منه خوف كثير لما بدا منه الهوج والخفة [(1)]، مما حملها على بث شكواها إلى المماليك، فحقدوا عليه واستقر لهم الرأي على قتله، وتم لهم ذلك صباح الاثنين 17 محرم سنة 648هـ، وتولت السلطة بعده شجر الدر في 2 صفر سنة 648هـ/1249م [(2)].

بعد تولي شجر الدر سعت جاهدة إلى التقرب من عامة الشعب، إلا أن المصريين لم يقبلوا وجود امرأة في العرش، كما أرسل الخليفة العباسي المستعصم يعاتب أهل مصر في ذلك ويقول: "إن كان ما بقي عندكم رجل تولونه، فقولوا لنا نرسل إليكم رجلاً" [(3)]. فوجدت نفسها في وضع حرج، مما جعلها تستجيب للضغوط التي أحاطتها وتخلع نفسها عن السلطة، وتتزوج الأمير عز الدين أيبك لتتنازل له عن العرش، وكانت مدة دولتها ثمانين يوماً [(4)]. وبعد أن اعتلى عز الدين أيبك السلطة تلقب بالملك المعز.

بتنصيب المعز أول ملوك الأتراك [(5)]، تكون بذلك نهاية الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك، التي كانت استجابة لظروف العالم الإسلامي في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي السابع الهجري [(6)].

بدأ عصر سلاطين المماليك عام 648هـ- 1249م، فظلوا يحكموا حتى عام 923هـ - 1517م، وانقسموا خلال هذه الحقبة إلى دولتين هما:

---

(1) المقريزي , أحمد بن علي بن عبد القادر، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م، ص 457.

(2) ابن منقذ, مجد الدين أسامة بن مرشد، لباب الآداب، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، مكتبة السنة، ط2، 1987م، ص 15.

(3) السيوطي , عبد الرحمن بن أبي بكر، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1967م، ص 36.

(4) المقريزي، مصدر سابق، ج1، ص 463.

(5) ابن كثير ، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ج13، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط 1، 1988م، ص 231.

(6) قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك، الدوحة، دار الشرق، ط1، 1994م، ص 8.

1/ الدولة البحرية (المماليك البحرية) وكلمة البحرية أطلقت عليهم قبل تأسيس دولتهم. وهذه الطائفة هي التي أسكنها سيدها الملك الصالح أيوب بقلعة الروضة. فعرفوا بالبحرية، وصاحبهم هذا الاسم وأوّل ملوكهم هو عز الدين أيبك 648هـــــــ/1249م .

2/ أما الدولة الثانية فهي دولة المماليك الجركسية، وأصل ملوكها من الجنس الجركسي،والتي تقع بلادهم في الجزء الشمالي الشرقي من البحر الأسود , في شمال القفقاس , وتعرف ببلاد جركس الشمالية والجنوبية[1] ولعل هذا الاختلاف اليسير في الجنسية بينهما، هو السبب في أن يعتبرهما المؤرخون دولة أخرى مغايرة للماضية[2].

رابعاً – ماهية الحروب الصليبية:

يمكن القول بأنها حركة صليبية استعمارية ولدت في غرب أوروبا واتخذت شكل هجوم مسلح على بلاد المسلمين، وجذور هذه الحركة نابعة من الأوضاع الدينية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية التي سرت في غرب أوروبا في القرن الحادي عشر الميلادي/الخامس الهجري، واتخذت من الدين شعاراً لتحقيق أهدافها[3].

هذه الدوافع كانت محكومة بالأحوال والظروف التاريخية السائدة في الغرب الأوروبي من ناحية، وفي الإمبراطورية البيزنطية والعالم الإسلامي من ناحية أخرى[4].

إلا أن محمود العروسي يرجعها إلى غرضين أساسيين هما: رد الفعل النصراني المشبع بالحقد على العالم الإسلامي، ودافع الطمع والكسب الذي اختلفت أنواعه وأشكاله[5].

يرى الباحث أنها لا تعدو أن تكون حركة من حركات المد والجزر في سلسلة الصراع بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي منذ فجر الإسلام: حتى تقوم الساعة، مصداقاً لقوله تعالى: **(وَلَنْ تَرْضى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصارى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ...)** [1].

---

[1]– حامد إبراهيم الشياب , العلاقات السياسية بين المماليك الجراكسة والعثمانيين في مصر وبلاد الشام , بيروت , جامعة القديس يوسف , (رسالة ماجستير غير منشورة , بتاريخ 1985م) ص9 .

(2) محمود شلبي، حياة الملك الظاهر بيبرس، بيروت، دار الجيل، ط1، 1992م، ص 36– 37.

(3) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط1، 2000م، ص 15.

(4) قاسم عبده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، الكويت، عالم المعرفة، ط1، 1990م، ص 48.

(5) محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، تونس، دار الغرب الإسلامي، ط 1، 1982م، ص 29.

الفصل الأول

جهاد السلطان بيبرس ضد الصليبيين (658هـ- 675هـ/1259-1276م)

ولاً: نسبه ونشأته:

---

(1) سورة البقرة، الآية 120.

هو بيبرس بن عبد الله السلطان الأعظم الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتوح، تركي الأصل[1]، ولد بأرض القبجاق [*] سنة خمس وعشرين وستمائة تقريباً [2]. أغار التتار على بلاده فأسر وبيع ثم حمل إلى سيوا س[**]، ومنها نقل إلى حلب، وأخيراً استقر به الحال في القاهرة، فشراه الأمير علاء الدين البندقداري وبقي عنده، إلى أن قبض عليه الصالح نجم الدين وأخذ بيبرس، فجعله في خاصة خدمه، ثم اعتقه[3]. هذا التغيير في ملكية بيبرس يظهر في صيغة اسمه أيضاً؛ إذ أصبح يدعى ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي[4].

شهد موقعة المنصورة، وله مواقف مشهورة وسيرة كبيرة وضعها محي الدين بن عبد الظاهر ليصف شجاعته وفتوحاته، وسيرة أخرى لابن شداد.

لازالت الأقدار تساعده حتى وصل إلى ما وصل إليه. وكان ملكاً شجاعاً، مقداماً يباشر الحروب بنفسه وله مع التتار الوقائع الهائلة وتعد سيرته من بعده مادة قصصية تستهوي النفوس وتستميل القلوب[5].

ثانياً : اعتلاء عرش البلاد:

---

(1) بن تغري بردي،يوسف بن تغري بردي بن عبدالله , مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1997م، ص 33.

(*) بلاد القبجاق: يحدها أطراف الصين من شرقها، وبلاد الصقلي من شمالها، فأما جنوبها فخراسان، وغربها الخليج القاطع من بحر الروم على القرم، ووراءها ممالك الإسلام والروم، (العمري , أحمد بن يحيى بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج3، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ط1، 1423هـ)، ص 27.

(2) ابن شاكر, محمد بن شاكر بن أحمد، فوات الوفيات، ج 1، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط 1، 1973م، ص 235.

(**)سيواس: مدينة بأرض الروم مشهورة خصينة كثيرة الأهل والخيرات والثمرات. أهلها مسلمون ونصارى، والمسلمون تركمان وعوام طلاب الدنيا وأصحاب التجارات، وعلى مذهب الإمام أبي حنيفة، وأسباب الفسق والبطالة عندهم ظاهرة.(القزويني, زكريا بن محمد بن محمود ,آثار البلاد وأخبار العباد , بيروت , دار صادر , ط1 ,1984م)ص537.

(3) الزركلي , خير الدين بن محمود بن أحمد، الأعلام، ج2، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 2002م، 79.

(4) عماد الدين غانم، الملك الظاهر بيبرس، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2000م، ص 14.

(5) محمد علي قطب، أبطال الفتح الإسلامي الإسلامي، الإسكندرية، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2006م، ص 214.

بعد أن كتب الله العزة والنصر للمسلمين والذل والانكسار للتتار [1] في معركة عين جالوت، والتي أبلى فيها بيبرس بلاءاً حسناً، أراد بيبرس أن يأخذ حلب كما وعده قطز [*] قبل المعركة، ولكن قطز لم يجبه إليها [2]. لأنه خشي من أن يقوى نفوذ بيبرس. وقد دفع ذلك بيبرس إلى أن يضمر الشر في نفسه، فاتفق مع عدد من الأمراء الناقمين على قتل قطز، وتم لهم ما أرادوا.

ولما وصل بيبرس والجماعة الذين قتلوا قطز إلى الدهليز السلطاني بالصالحية، كان عند الدهليز نائب السلطنة فارس الدين أقطاي المستعرب، وسألهم قائلاً: من قتله منكم؟ فقال بيبرس: أنا. قال له أقطاي: يا خوند أجلس في مرتبة السلطنة[3]، وجلس

بيبرس على مرتبة السلطنة وتسلطن، وتم أمره [4]، وبايعه أقطاي وحلف له، ثم تلاه سائر الأمراء والجند، وكان ذلك في سنة 658هـــ/1259م.

وبذلك أصبح بيبرس أول سلاطين دولة المماليك البحرية، واتخذ لنفسه لقب الملك القاهر، ولكن أشار عليه الوزير زين الدين بتغيير هذا اللقب، وقال له: ما لقب به أحد فأفلح، فلما سمع بيبرس ذلك أبطل اللقب الأول ولقب نفسه الظاهر [5]. لأن الله تعالى أظهره على أعدائه وأصلح به به أحوال المسلمين[6].

---

(1) زاهية الديجاني، الظاهر بيبرس بين المغول والصليبيين، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1423هــ، ص35.

(*)هوالْملك المظفر سيف الدّين قطز المعزي، واسْمه الْحَقِيقِيّ مُحَمَّد بن مَمْدُود، وَأمه أُخْت السُّلْطَان جلال الدّين خوارزم شاه، وَأَبوهُ ابْن عَمه، وَقع عَلَيْهِ السَّبي عِنْد غَلَبَة التتار فَبيع بِدِمَشْق ثمَّ انْتقل بِالْبيعِ إِلَى مصر وتملك فِي سنة ثَمَان وَخمسين وستِمِائَة /1259م(ابن الضياء , محمد بن أحمد بن الضياء , تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف , تحقيق : علاء إبراهيم وأيمن نصر , بيروت , دار الكتب العلمية , ط2 , 2004م ,)ص289 .

(2) محمود شلبي، مرجع سابق، ص 360.

(3) أبو الفداء , إسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر، ج 2، القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، ط 1، 1325هــ، ص 207.

(4) أبو المحاسن، مصدر سابق، ج2، ص 32.

(5) اليونيني , قطب الدين أبو الفتح موسى، ذيل مرآة الزمان، ج2، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ط2، 1992م، ص 3.

(6) البدر العيني , أ محمود بن أحمد بن موسى ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: هانس أرنست، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1962م، ص 15.

ما أن استولى بيبرس على السلطة حتى وضع نصب عينيه تقوية الجبهة الداخلية، وتوحيد البلاد، وإعدادها لمجابهة الغزو المغولي المندفع إليها من الشرق، والغزو الصليبي المقيم على أراضيها. وأول عمل قام به هو القضاء على سنجر الحلبي، الذي خرج عن طاعته وتسلطن بدمشق[1]، فزحف بيبرس على دمشق، واقتتل معهم بظاهر دمشق فولى الحلبي وأصحابه منهزمين واستقرت دمشق في ملكه[2].

وأراد أن يجعل لحكمه سنداً شرعياً، فقام بإحياء الخلافة العباسية في القاهرة، إلا أنها كانت خلافة اسمية ولم يكن للخليفة من الأمر شيء، كان مجرد رمز لا روح فيه ولا حياة [3]. رغم ذلك فالخلافة عند المسلمين رمز للوحدة واتباع شرع الله في تعيين إمام للمسلمين[4].

ثالثاً: بيبرس وطريق الجهاد:

واجه المماليك في مستهل حياتهم السياسية خطرين كبيرين، كان لهما أثر واضح في تطور مسيرتهم السياسية؛ وهما خطر ما تبقى من الإمارات الصليبية في بلاد الشام، وخطر المغول.

ولما توطدت سلطة المماليك، رأى بيبرس ضرورة متابعة سياسة صلاح الدين وخلفائه في مطاردة الصليبيين، وإجلائهم عن الشرق الأدنى، ولم يكن ذلك بالأمر الهين فقد كان عليه أن يناضل الإمارات الصليبية وهي: أنطاكية وطرابلس والجزء الباقي من مملكة بيت المقدس ولكي يصل إلى غايته، رأى أن يقضي على هذه الإمارات الواحدة بعد الأخرى[5].

لتحقيق هذا الهدف أقام دبلوماسيته على أساس لجم تنامي الخطر المغولي، وقطع الطريق على إمدادات أوروبا للكيانات الصليبية في الساحل الشامي. فتحالف أولاً مع بيزنطة في عام 660هـ/1261م، مستغلاً سوءالعلاقات البيزنطية الصليبية في توطيد العلاقة مع الإمبراطور

---

(1) القلقشندي , أحمد بن علي بن أحمد، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج 2، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الكويت مطبعة الحكومة الكويتية، ط2، 1985م، ص 105.

(2) أبو الفداء، مصدر سابق، ج3، ص 41.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور،نظم الحكم والإدارة, مرجع سابق، ص 260.

(4) عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، الرياض، مكتبة الرشد، ط 1، 1995م، ص 112.

(5) حسن إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1948م، ص 139.

البيزنطي، كما أحيا الظاهر الحلف مع الإمبراطورية الرومانية المقدسة. وملك نابولي وصقلية، نفردين فردريك الثاني [1]، ولم تقف مساعي بيبرس عند هذا الحد بل عقد معاهدات تجارية مع جيمس ملك أرجونة وألفينس أمير إشبيلية الذي تبودلت بينه وبين الملك الظاهر الرسل والهدايا[2].

أما سياسته مع المغول فقد لجأ إلى الدبلوماسية؛ حيث استفاد من النزاع بين بركة خان قائد القبيلة الذهبية الذي جهر بالإسلام وبين أباقا بن هولاكو، فتحالف بيبرس مع بركة خان، وتبادل معه السفارات، وأبدى غضبه من الطريقة التي عومل بها خليفة المسلمين في بغداد[3].

وحدث في تلك الفترة أيضاً أن ظهر زعيم تركماني قوي في جنوب شرق قونية اسمه قرمان فتم الاتفاق معه حتى يقوم بضغط مستمر على الأرمن، وبرهن بيبرس بذلك على أنه دبلوماسي ماهر بقدر ما هو مقاتل شجاع[4].

وخابت بذلك الآمال التي كان يعلقها الصليبيون على غزو التتر للعالم الإسلامي، فقد أصبحت منهم قوة مسلمة تتعاون مع سلاطين مصر ضد المغول الذين لم يسلموا بعد[5].

كان على بيبرس بعد ذلك الانصراف لإنزال العقاب بأولئك الذين تعاونوا مع المغول من المسيحيين، إذ أن كراهيته الشديدة خص بها هيثوم ملك أرمينية وبوهيمند أمير أنطاكية، فأرسل في أواخر الخريف من سنة 660هـــــ/ 1261م غارات واسعة النطاق على أملاك أنطاكية، لمعاقبة أميرها بوهيمند السادس على محالفته للمغول.

وجدد الإغارات في الصيف التالي، وتعرض ميناء السويدية * للنهب [1]. وجرى تهديد أنطاكيا ذاتها؛ غير أن هيثوم استنجد بهولاكو، ثم وصل بقوة مؤلفة من المغول والأرمن في الوقت المناسب لإنقاذ أنطاكية[2].

---

(1) عماد الدين غانم، مرجع سابق، ص 89 – 90.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية، ج2، مرجع سابق، ص 112.

(3) صبحي عبد المنعم، المغول والمماليك السياسة والصراع، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2001م، ص 21.

(4) بسام العسلي، قادة الحروب الصليبية المسلمون، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر، ط1، 2012م، ص 286.

(5) محمد العروسي المطوي، مرجع سابق، ص 131.

أصبح باستطاعة بيبرس بعدئذٍ تركيز جهده لمواجهة الصليبيين بالشام، بدأت هذه المرحلة عندما توجه السلطان الظاهر إلى بلاد الشام سنة 1261م. إذ نزل بمنطقة العوجا في جنوب فلسطين، واستقبل وفداً يضم كونت يافا وسيد بيروت يوحنا اللذين جاءا للتفاوض في عودة الأسرى الفرنج الذين وقعوا في أيدي المسلمين في السنوات الأخيرة. ولتنفيذ الوعد الذي كان قد قطعه السلطان عز الدين أيبك بإعطاء زرين في الجليل للصليبيين[3]. ودفع تعويض عنها، غير أن بيبرس رفض الاستماع إليهما، وأصدر أوامره بإرسال جميع الأسرى للعمل، والإفادة من القدرة البشرية في الأعمال الزراعية[4].

غير أن الصليبيين في عكا لم يدخلهم اليأس من ابتزاز المكاسب، والإفادة من مساعدتهم للمسلمين في معركة عين جالوت، فأوفدوا في شهر فبراير سنة 1263م كونت يافا يوحنا لمفاوضة السلطان بيبرس مرة أخرى في موضوع الأسرى، وكان السلطان بيبرس في تلك الفترة يعكسر بالقرب من جبل الطور، كما كان يحمل شعوراً ودياً تجاه يوحنا، كونت يافا ولهذا وافق على عقد هدنة مع الصليبيين. لكن اشترط العودة إلى الوضع الذي كان قائماً في آخر أيام الملك الناصر صلاح الدين وإطلاق سراح أسرى المسلمين[5].

غير أن قادة طائفتي الداوية والإسبتارية [*] رفضوا التخلي عن أسرى المسلمين الذين بحوزتهم، نظراً لأنهم كانوا صناعاً مهرة، ونظراً لما كان لهم من أهمية مادية للطائفتين. وارتاع بيبرس نفسه لهذا الاستغلال البشع، فقطع المفاوضات، وبفشل المفاوضات معهم، أنفذ السلطان

---

*ميناء السويدية : هو ميناء ترسو فيه ترسو فيه مراكب الأفرنج يرفعون منه أمتعتهم على الدواب إلى أنطاكية (ياقوت الحموي, شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، معجم البلدان، ج 2، بيروت، دار صادر، ط 2، 1995م البلدان، ج2، بيروت، دار صادر، ط2، 1995م) ص268 ياقوت

(1) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج2، مرجع سابق، ص 906.

(2) بسام العسلي، مرجع سبق ذكره، ص 286.

(3) محمد سهيل طقوش، تاريخ الحروب الصليبية، بيروت، دار النفائس، ط1، 2011م، ص 662.

(4) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 287.

(5) المقريزي، مصدر سابق، ج1، ص 538.

(*) الداوية والإسبتارية: قوم من الافرنج يحبسون أنفسهم لجهاد المسلمين ويمنعون أنفسهم من النكاح وغيره، ويتعاونون القوة ويعالجون السلاح ولا طاعة عليهم لأحد (ياقوت الحموي, مصدر سابق)، ص 264.

الأمير جمال الدين المحمدي على رأس قوة عسكرية للإغارة على بعض معاقلهم وعلى العرب الزيديين الذين كانوا يساعدونهم[1].

ولما كان الملك الظاهر نازلاً على الطور، أرسل عسكرا هدموا كنيسة الناصرة، وهي من أكبر مواطن عبادات النصارى، لأن منها خرج دين النصرانية [2]، ثم إنهم بعد ذلك قاموا بالإغارة على عكا وحازوا منها بعض الغنائم، ولما عادوا خرج السلطان بنفسه على رأس مجموعة مختارة من جنوده، وأعادوا الكرة على عكا، فأغاروا عليها، وهدموا برجاً خارجها[3]، ولما لم يكن بيبرس في تلك الفترة مستعداً لمهاجمة المدينة، فقد اكتفى بما حققه من نصر وانسحب إلى مواقعه. وبقيت الحدود مسرحاً للإغارة من قبل قوات الطرفين المتصارعين، المسلمين وأعدائهم. في أوائل سنة 1264م اتفق قادة الطائفتين،الإسبتارية والداوية، على توحيد قواتهما للعمل ضد المسلمين[4].

وكانت أول عملية مشتركة لهما هي محاولة الاستيلاء على مجدو، التي أطلق عليها الفرنج اسم حصن ليزون، ثم قامت قوات الطرفين بإغارة مشتركة بعد بضعة شهور، على عسقلان.

بالإضافة إلى ذلك، فقد حدث في خريف سنة 1264م أن قام المقاتلون الفرنسيون، الذين كانوا يتقاضون رواتبهم من ملك فرنسا، بالتوغل حتى بلغوا أرض بيسان [5]. ورد المسلمون على ذلك بأن شددوا في نهب القرى التي يحتلها الصليبيون إلى الجنوب من جبل الكرمل، وأغاروا على قيسارية وعثليث، حتى لم تعد الحياة مأمونة، وظهر أن تصعيد هذا التوتر لابد له وأن يؤدي إلى تطور الصراع على طرفي الحدود، وعلى هذا خرج بيبرس من مصر على رأس جيش كثيف في بداية سنة 1265م.

وظهر من خلال تلك الفترة ما يشير إلى تحرك المغول في الشمال للعدوان على شمال سورية، وأصبح هدف بيبرس هو مجابهة هجوم المغول، غير أن الأنباء وردت بسرعة مبشرة

---

(1) عزمي عبد محمد أبو عليان، مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك، عمان، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، 1995م، ص 30.

(2) أبو الفداء، مصدر سابق، ج4، ص 213.

(3) وفاء محمد علي، جهود المماليك البحرية ضد الصليبيين، الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث، ط2، 1991م، ص 11.

(4) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 287.

(5) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 663.

بنجاح قوات المسلمين في صد عدوان المغول في الشمال، وبذلك توافرت الفرصة أمام بيبرس لاستخدام قواته ضد الصليبيين في الجنوب[1].

وتظاهر بيبرس بالتلهي في رحلة صيد في التلال الواقعة وراء أرسوف، ليظهر بصورة مباغتة أمام قيسارية الشام، وحرق أبوابها، وهتك حجابها [2]. فسقطت المدينة على الفور في 27 فبراير 1265م. بعد ستة أيام من نزوله [3]، بينما صمدت القلعة لمدة أسبوع قبل أن تستسلم حاميتها في 4 مارس 1265م. وجلس على سرير الملك بها[4]، وسمح للحامية بالخروج منها دون أن تتعرض للأذى، غير أنه أمر بتدمير المدينة والقلعة وتسويتها بالأرض.

ثم ظهرت قوات بيبرس مرة أخرى أمام حيفا بعد بضعة أيام، وقد فر الكثير من أهلها عن طريق السفن الراسية بمينائها [5]. وبعد أن تخلوا عن المدينة دخلها السلطان ودمرها. وفي تلك الأثناء هاجم بيبرس قلعة عثليث الضخمة التي كانت خاضعة لحكم فرسان الداوية، وأمر بإشعال الحرائق في القرية الواقعة خارج الأسوار، أما القلعة، فإنها نجحت في مقاومتها، ولم يشأ بيبرس أن يضيع وقته في حصار قد يطول.

وفي 21 مارس، تخلى بيبرس عن حصارها، ثم زحف على أرسوف، التي سبق للإسبتارية أن شحنوها بالمؤمن والمقاتلين. فكان في القلعة نحو مائتين وسبعين من الفرسان الذين استبسلوا في القتال، غير أن المدينة السفلى سقطت في أبريل سنة 1265، بعد أن دمرت أدوات الحصار أسوار القلعة، ولم تمض أكثر من ثلاثة أيام حتى "أحس الفرنج إلا وقد خالطهم المسلمون، وانشبت في براثنها المنون، قبل أن يسألوا الأمان، ويبذلوا الطاعة والإذعان[6].

---

(1) عماد الدين غانم، مرجع سابق، ص 81.

(2) المرجع نفسه ، ص 192.

(3) أبو الفداء، مصدر سابق، ج3، ص 56.

(4) ابن خلكان , أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، ج 4، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1971م، ص 156.

(5) وفاء محمد علي، مرجع سابق، ص 12.

(6) البدر العيني , محمود بن أحمد بن موسى، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج 1،تحقيق:محمود رزق محمود, القاهرة,دار الكتب والوثائق القومية,ط2, 1431ه, ص 103.

وفقد قائد القلعة ثلث عدد فرسانه، وقيد الظاهر الفرنج بقيودهم وعين جماعة من أسراهم ليسيروا بهم وقسم أبراج أرسوف على الأمراء وأمر أن يكون أسرى الفرنج هم من يتولون هدم السور فهدمت بأيديهم[1].

وصل الدور على عكا التي كانت من أمنع الثغور الشامية، بأسوارها وأبراجها، واتصالها بالبحر[2]، غير أن الوصي "هيو" من سادة أنطاكية، والذي كان بقبرص، هرع فعلاً بكل من استطاع أن يحشده من الرجال من الجزيرة، واجتاز بهم البحر، فلما تحرك بيبرس مرة أخرى من أرسوف صوب الشمال، تبين له أن هيو قد هبط إلى عكا في 25 أبريل سنة 1265م، فعاد الجيش المصري إلى بلاده بعد أن خلف عسكر يكفي للسيطرة على الأقاليم التي فتحها حديثاً، وأضحت حدود المناطق التي حررها المسلمون على مرأى من عكا ذاتها.

استمر الحظ في خدمة بيبرس بعد أن حالفه طوال سنة 1265م، فقد مات هولاكو [*]، بمرض الصرع وهلك[3] في 8 فبراير 1265م، ولم تلبث زوجته طُقز خاتون أن ماتت بعد ذلك في صيف السنة ذاتها، فصبت هذه الحوادث في صالح المماليك، إذ أضعفت مغول فارس في لحظة حرجة، وزادت أوضاع الصليبيين تعقيدا [4]. وأصبح باستطاعة بيبرس أن يستأنف حملاته لقتال الصليبيين بدون أن يخشى أي تدخل خارجي من قبل المغول، لاسيما أن أباقا الزعيم المغولي الجديد، أصبح مرغماً على تركيز جهده لرد غارات مغول القبيلة الذهبية الذين كان يقودهم بركة خان. ومغول التركستان الذين تحولوا إلى الإسلام[5].

---

(1) المقريزي، مصدر سابق، ج2، ص21.

(2) محمد علي قطب، مرجع سابق، ص 221.

(*) هولاكو: هو هولاكو بن طلو بن جنكيز خان، وكانت وفاته بالقرب من كورة مراغة وكانت مدة ملكه البلاد نحو عشر سنين، (أبو الفداء، مصدر سابق، ج3)، ص 56.

(3) محمود شاكر، مرجع سابق، ص 173.

(4) نور الدين خليل، الظاهر بيبرس رعب الصليبيين، الإسكندرية، الفتح للطباعة والنشر، ط1، 2005م، ص 104.

(5) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 290.

وهكذا خرج بيبرس من مصر في أوائل صيف سنة 1266م، وهو يقود جيشين، وظهر الجيش الأول الذي يقوده بيبرس أمام عكا في أول يونيو سنة 1266م، غير أن الكتيبة الفرنسية المدافعة عن عكا، كانت قد تلقت منذ عهد قريب دعماً أرسله ملك فرنسا القديس لويس[1].

ولما اكتشف بيبرس أن الحامية المدافعة عن عكا، قد وصلت إلى مرحلة كافية من القوة؛ قام بتظاهرة عسكرية أمام حصن مونتفورت، الذي كان تحت سيطرة الفرسان التيوتون – الألمان، ثم زحف فجأة إلى صفد التي كانت تحت سيطرة فرسان الداوية، والتي كانت قلعتها الضخمة فوق مرتفعات الجليل والتي تعد من أخطر القلاع الصليبية.

وكانت تحصينات صفد وأسوارها قد أعيد تعميرها منذ خمس وعشرين سنة، كما كانت الحامية فيها وفيرة، غير أن عدداً كبيراً من المقاتلين كانوا من المسيحيين الوطنيين أو من الهجين، وأظهرت هذه الحامية عناداً في القتال، وتمكنت من إحباط الهجمات المتتالية، التي قام بها بيبرس في أيام (7 و13 و17) يوليو[2]. وعند ذلك أعلن بيبرس، عن طريق المنادين، بأنه يمنح العفو التام لكل من يسلم له من المسيحيين الوطنيين[3].

ولم يلبث الداوية إلا أن أدركوا بأنه بات من المحال عليهم الاحتفاظ بالقلعة، ولهذا أرسلوا في نهاية شهر يوليو جندياً اسمه "ليو" فعرض تسليم الحصن، ثم عاد بوعد من بيبرس يسمح بموجبه للحامية بالانسحاب إلى عكا بدون أن تتعرض للأذى؛ غير أنه لما سلم الداوية القلعة إلى بيبرس، وفقاً لهذه الشروط، قتل أهلها عن آخرهم [4]، وأفحش في قتلهم [5]. ويرجع وليم موير السبب في ذلك إلى أن الأسرى حين خروجهم حملوا معهم أسلحتهم وأمتعتهم [6]. بل تذهب ليلى عبد الجواد إلى أبعد من ذلك إلى أنهم صحبوا معهم بعض المسلمين أسرى، بعد أن ألبسوهم

---

(1) نور الدين خليل، مرجع سبق ذكره، ص 104.

(2) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 290.

(3) عزمي عبد محمد، مرجع سابق، ص 40.

(4) أبو الفداء، مصدر سابق، ج4، ص 3.

(5) لويس شيخو , رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح، مجاني الأدب في حدائق العرب، ج 6، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ط3، 1991م، ص 329.

(6) وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1995م، ص 54.

ملابس الصليبيين. ولما علم بيبرس بما فعلوا، غضب إلى ذلك. وأمر بالقبض على حامية القلعة. وأمر بضرب أعناقهم على تل قريب من صفد[1].

والواقع أن الاستيلاء على صفد أصاب الصليبيين بضربة قاضية، هيأت للقائد بيبرس الفرصة لتحرير الجليل؛ إذ أعقب ذلك بأن هاجم تبنين التي سقطت في قبضته بدون قتال، ثم أرسل من تبنين قوة مقاتلة لتدمير قرية قارا المسيحية، والتي تقع بين دمشق وحمص، وكانت غالبية سكانها من السريان، الذين تعدوا على المسلمين في أيام هولاكو وكتبغا كما ارتاب بأن لهم صلة بالصليبيين، فأمر بقتل البالغين من سكانها[2].

مقابل ذلك، حاول الفرنج الإفادة من فرصة انسحاب بيبرس، فقاموا بتنظيم هجوم قوي ضم فرسان الطوائف العسكرية وقوة الكتيبة الفرنسية، بقيادة جفري سارجينس، وذلك لإعادة سيطرة الصليبيين على الجليل، غير أن مقدمة الجيش وقعت في الكمين الذي نصبته حامية صفد يوم 28 أكتوبر 1266م، كما قام العرب المسلمون بالهجوم على معسكر الفرنج الرئيس، الذي كان يقوده هيو، وأصبح هذا مرغماً على سحب قواته التي تكبدت خسائر فادحة[3].

رابعاً: الهجوم على قليقية (أرمينية الصغرى) سنة 1266م:

بينما كان بيبرس يحرر الجليل، احتشد في مدينة حمص جيش آخر بقيادة أكفأ أمراء بيبرس، الأمير قلاوون، وقام هذا الجيش بإغارة سريعة على محور طرابلس، استولى خلالها على حصني القليعة وحابا، بالإضافة إلى مدينة عرقة التي كانت تتحكم بمحور العمليات، ما بين البقيعة وطرابلس، وشكل تحريرها تهديداً لإمارة طرابلس، ثم أسرع جيش قلاوون في التحرك نحو الشمال ليلحق بجيش حمص الذي كان يقوده أميرها

المنصور، ثم توجهت قواتها المشتركة إلى حلب، ولم يلبث أن انحرفت صوب الغرب، في اتجاه قليقية[4].

---

(1) ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، القاهرة، دار الثقافة العربية، ط 1، 2000، ص 164.

(2) ستيفن رنسيمان,تاريخ الحروب الصليبية,ج3,ترجمة:السيد الباز الريني,بيروت, دار الثقافة,ط1,1969,ص553.

(3) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 292.

(4) بسام العسلي،مرجع سابق, ص292.

كان الملك هيثوم ملك أرمينية الصغرى قد دخل في حلف مع هولاكو ضد المسلمين، كما دخل في حلف مع الصليبيين في بلاد الشام، وزاد من صلفه أنه اتبع سياسة جديدة ضد المماليك في مصر وهي فرض حصار اقتصادي عليهم. وذلك بمنع تصدير الأخشاب والحديد من آسيا الصغرى إليهم، وقد هدف من وراء ذلك إلى حرمان المماليك من إنشاء قوة بحرية [1]، لذلك عزم بيبرس على مهاجمته فأرسل إليه سنة 1266م حملة تأديبية بقيادة الأمير قلاوون[2].

كان الملك هيثوم يتوقع مثل هذا الهجوم، ولذا حاول أن يصالح بيبرس بمجرد سماعه بأنباء موت هولاكو. مستخدماً في ذلك أسلوب المساومة؛ إذ كانت البحرية المصرية في حاجة إلى الأخشاب من أجل بناء سفنها، وكانت هذه الأخشاب في المناطق التي يسيطر عليها هيثوم وصهره بوهيمند، وكان الاثنان يأملان باستخدام أسلوب فرض الحظر على تصدير الأخشاب من أجل الضغط على بيبرس وإقناعه بعقد صلح معهما؛ غير أن أسلوب الحصار الذي فرضاه لم يؤد إلا إلى إمعان بيبرس في عزمه على القتال[3].

وعندما أدرك هيثوم عقم محاولاته، توجه إلى بلاد الإيلخان المغولي في تبريز في محاولة للحصول على دعمه لمواجهة هجوم المسلمين الذي بات وشيك الوقوع.

بينما كان هيثوم في تبريز، هبت العاصفة على قليقية، وكان جيش أرمينية تحت قيادة ولدي هيثوم وهما ليو وثوروس، ينتظر عند دروب الشام، وقد تولى فرسان الداوية في بغراس حراسة جناحيه؛ غير أن جيش المسلمين انحرف في اتجاه الشمال، فعبر جبال الأمانوس، وأسرع جيش أرمينية في محاولة لاعتراض تقدم المسلمين عند هبوطهم إلى سهل قليقية.

ودارت معركة حاسمة يوم 24 أغسطس. وتعرض الأرمن لهزيمة ماحقة، بعد أن تفوق عليهم المماليك في العدد[4]، بينما وقع الآخر في الأسر[5]، وانساب المسلمون المظفرون في قليقية.

---

(1) أحمد مختار العبادي، في التاريخ الأيوبي والمملوكي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، 1992م، ص 219.

(2) عزمي عبد محمد، مرجع سابق، ص 41.

(3) بسام العسلي، مرجع سبق ذكره، ص 292.

(4) ستيفن رنسيمان، مرجع سابق، ج3، ص 553.

(5) شفيق جاسر أحمد محمود، المماليك البحرية وقضائهم على الصليبيين في الشام، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط1، 1409هـ، ص 131.

وبعد ذلك توجه قلاوون إلى إياس وأذنة وطرسوس لتدمير هذه المدن، في حين قاد المنصور جيشه فتجاوز المصيصة إلى عاصمة الأرمن سيس وهي كرسي مملكتهم. وكان صاحب سيس إذ ذاك هو هيثوم بن قسطنطين، فتجهز لقتال العسكر الإسلامي ومنعه، إلا أن العساكر الإسلامية داستهم وأفنوهم قتلاً وأسراً، وانتشر العساكر الإسلامية في بلاد سيس، وفتحوا قلعة العامودين. وقتلوا أهلها وأسروهم، ثم عادت العساكر وقد امتلأت أيديهم من الغنائم [1]. وفي نهاية شهر سبتمبر انسحبت قوات الهجوم المنتصر إلى حلب، وفي حوزتها نحواً من أربعين ألف أسير، وقافلة ضخمة من الغنائم، وكان فتحاً عظيماً [2]، وأخذوا بثأر الإسلام وأهله منهم، وذلك لأنهم كانوا أضر شيء على المسلمين زمن التتار[3].

وأسرع الملك هيثوم بالعودة من بلاط الإيلخان في جماعة صغيرة من المغول، فألفى ولي عهده أسيراً، وعاصمته خراباً، وبلاده بكاملها مستباحة، وكل ذلك جزاء ما اقترف من عمل يده، ولم تنهض مملكة قليقية مطلقاً من هذه الكارثة. ولم تعد بوسعها إلا أن تقوم بدور سلبي في الأمور السياسية بآسيا الصغرى.

أراد بيبرس الإفادة من الموقف بعد أن تم القضاء على خطر أرمينيا، فأرسل جيشاً في خريف سنة 1266م، لمهاجمة أنطاكية، غير أن قادته أظهروا فتوراً في القتال، بعد أن امتلأت أيديهم بالغنائم، إلا أن بيبرس قرر عدم ترك فرصة للصليبيين لاستعادة قوتهم، وعلى هذا قاد بيبرس الجيش ليظهر مرة أخرى أمام عكا في مايو سنة 1267م[4].

ولجأ بيبرس إلى مناورة خداعية، حيث رفع الرايات والأعلام التي سبق له أن استولى عليها من الداوية والاسبتارية، وبذلك تمكن من المضي مباشرة إلى أسوار عكا، قبل أن تنكشف الخدعة، ولكن على الرغم من ذلك فقد تمكنت حامية عكا من إحباط الهجوم، فقنع بيبرس بما قام به من تدمير القرى المحيطة بعكا، ومن تكبيدهم خسائر فادحة[5].

---

(1) أبو الفداء، مصدر سابق، ج4، ص 3.

(2) الغزي , كامل بن حسين بن محمد، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج3، حلب، دار القلم، ط2، 1419هـ، ص 39.

(3) ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص 287.

(4) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 293.

(5) المرجع نفسه ، ص 293.

وانعكست أعمال بيبرس الحربية بصورة سلبية على الحياة في عكا، والتي أصبحت بالغة، وأثار ذلك الصراعات الداخلية بين الفرنج، حيث تجدد القتال بين البنادقة والجنويين من أجل السيطرة على الميناء.

وفي 16 أغسطس سنة 1267م شق أمير البحر الجنوي لوتشيو جربمالدي طريقه إلى الميناء في ثماني وعشرين سفينة، بعد أن استولى على برج الذباب، وهو من أهم أبراج عكا. فواجهته سفن البندقية واضطرمت نار الحرب بينهما، وولى الأسطول الجنوي على عقبيه إثر خسارته لخمس عشرة سفينة في المعركة[1].

ولم تبقَ للمسيحيين من ممتلكات جنوبي عكا سوى قلعة عثليث التي كان يحتلها فرسان الداوية ومدينة يافا التي كانت تحت سيطرة يوحنا إبلين والتي ارتبطت بهدنة مع بيبرس.

وفي بداية سنة 1268م خرج بيبرس بجيشه إلى مصر بهدف الاستيلاء على يافا وتحريرها، بعد أن مات حاكمها إبلين، وهكذا، فما أن ظهر يوحنا أمام يافا يوم 7 مارس 1268م حتى افتتح يافا بالسيف وقلعتها بالأمان [2]. بعد معركة قاسية لم تستمر، أكثر من اثني عشرة ساعة، وتمت إبادة المقاومة؛ غير أن بيبرس لم يسمح لمن بقي من الحامية بالالتجاء إلى عكا، وتم تدمير القلعة، لئلا يكون لهم إليها عودة[3]، وأرسل ما تحويه من خشب ورخام إلى القاهرة.

وتوجه بيبرس بعد ذلك إلى تحقيق هدفه التالي وهو تحرير قلعة الشقيف التي كان الداوية قد فرضوا سيطرتهم عليها منذ عهد قريب، فنازلها واشتد الحصار والزحف، والمجانيق، فطلبوا الأمان، فتسلم السلطان الحصن، وكان فيه نحو خمسمائة رجل. فساروا إلى صور. وكان الحصار عشرة أيام[4].

---

(1) ستيفن رنسيمان، مرجع سابق، ج3، ص 553

(2) ابن العماد, عبد الحي بن أحمد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 5، تحقيق: مصطفى عبد القادر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1431هـــ، ص 32.

(3) محمود شلبي، مرجع سابق، ص 329.

(4) الذهبي , شمس الدين أبو عبد الله محمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 49، تحقيق: عمر عبد السلام تدميري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1993م، ص 35.

خامساً: تحرير أنطاكية سنة 1268م:

تحرك بيبرس بجيشه ليظهر في أول مايو سنة 1268م. وبصورة مباغتة أمام طرابلس، غير أنه انحرف فجأة في اتجاه الشمال، عندما عرف أن هناك حامية قوية تدافع عن طرابلس، فلما سمع صاحب صافيتا وانطرسوس بما حل بالفرنج من العكوس خاف أن يمسه ما مسهم من البؤس[1]، فتوسلوا إلى بيبرس أن يبقى لهم المناطق التي بحوزتهم، فاستجاب لرغبتهم، وأسرع بالهبوط نحو وادي نهر العاصي، ووصل في 14 مايو 1268م/667هـــ إلى أمام أبواب أنطاكية.

وهناك قسم قواته إلى ثلاثة أقسام، فتوجه جيش للاستيلاء على السويدية، لقطع اتصال أنطاكية بالبحر [2]، وتحرك الجيش الثاني إلى دروب الشام، لمنع وصول أي نجدات برية من قليقية[3]، أما الجيش الرئيس بقيادة بيبرس نفسه، فإنه أخذ يقترب من المدينة ليطوقها.

وكان بوهيمند السادس أمير أنطاكية في طرابلس، فتولى القيادة الكند سطبل، ومع أن أسوار أنطاكية جرى الاهتمام بإصلاحها، فإن الحامية لم تكن من كثرة العدد ما يكفي لشحن أسوارها الممتدة[4]، على أن الكند حمله الطيش على أن يقود جماعة من العسكر إلى خارج المدينة، في محاولة لمنع مهاجمة المدينة، غير أنه وقع في الأسر [5]، فاستخدمه الظاهر وسيلة لإقناع المحاصرين بالاستلام، غير أن المفاوضات لم تؤد إلى نتيجة إيجابية بفعل تصلب المدافعين، عند ذلك قرر بيبرس اقتحامها. وقام المسلمون في اليوم التالي بأول هجوم على المدينة؛ لكن الفرنج نجحوا في إحباطه، فاستؤنفت المفاوضات من جديد ولكنها لم تصب نجاحاً[6].

---

(1) محمود شلبي، مرجع سابق، ص 248.

(2) شفيق جاسر أحمد، مرجع سابق، ص 132.

(3) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص 329.

(4) ستيفن رنسيمان، مرجع سابق، ج3، ص 557.

(5) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 666.

(6) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 295.

وفي 18 مايو 1268م/667هـــ، شن المسلمون هجوماً عاماً على جميع القطاعات، وبعد أن اشتد القتال حدثت ثغرة وتدفق منها المسلمون إلى داخل المدينة [1]. وتفجر الغضب دفعة واحدة، فدرات رحى مذبحة رهيبة، إذ أمر السلطات بيبرس بإغلاق أبواب المدينة حتى لا يهرب أحد من المقاتلين فتمت إبادة المقاومات بالشوارع، وامتدت المقاومة إلى اولئك الذين هربوا من القتال، فالتجؤوا إلى بيوتهم، ووقع بقية الرجال في الأسر، كما نجح الألوف من السكان بالهرب مع عائلاتهم إلى القلعة الضخمة الواقعة على الجبل، فتقرر الإبقاء على حياتهم، فكان نصراً مدوياً ارتجت له أنحاء العالم الإسلامي، وارتجفت له الإمارات الصليبية الباقية[2].

وفي 19 مايو 1268م/667هـــ ، أمر السلطان بيبرس بجمع الغنائم وتوزيعها، وكانت الغنائم لا تقدر بعدد لدرجة أن قسمت النقود بالطاسات [3]، أما عدد الأسرى فكان بالغ الضخامة، لذا كان فقدان انطاكية بالنسبة للصليبيين أكبر فاجعة حلت بهم [4]، وضربة قوية لهيبة الصليبيين ووجودهم، وإيذاناً بزوال الإمارات الصليبية كلها[5].

وإذ ضعفت أرمينيا وتدمرت أنطاكية قرر الداوية أنه أضحى من المحال عليهم البقاء في قلاعهم المعزولة في جبال الأمانوس، فجلوا بدون قتال عن بغراس وتركوا الحصن خالياً [6]، فأرسل بيبرس من استولى عليها، وقواها وجعلها من الحصون الإسلامية [7]، كما استولى على قلعة لاروش دي روسول.

---

(1) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص 329.

(2) عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا، القاهرة، دار المعارف، ط1، 1983م، ص 527.

(3) أبو المحاسن، مصدر سابق، ج7، ص 143.

(4) عبد السلام جمعة، قادة المماليك الثلاثة، جامعة تكريت، كلية التربية، مجلة جامعة تكريت للعلوم، العدد 3، مارس 2013م، ص 200.

(5) أبو التراب , سيد بن حسين بن عبد الله، نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، جدة، دار ماجد عسيري، ط 1, 1419هـ، ص 341.

(6) ستيفن رنسيمان، مرجع سابق، ج3، ص 560.

(7) ابن الوردي , عمر بن مظفر بن محمد، تاريخ ابن الوردي، ج2، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1996م، ص 212.

لم تبق من إمارة أنطاكية سوى مدينة اللاذقية التي أصبحت جيبا معزولاً، وقلعة القصير التي انعقدت أواصر الصداقة بين قائدها وبين المسلمين، فسمحوا له بالبقاء لمدة سبع سنوات أخرى، على أنه من أتباع السلطان بيبرس[1].

بـــــعد تحرير بيبرس لإمارة أنطاكية، أخذ في الإعداد لمجابهة التطورات المحتملة، حيث ظهرت بعض الشواهد التي تشير إلى احتمال قيام المغول ببعض التحركات ربما تكون إلى بلاد الشام[2]. وفي الوقت ذاته ترددت شائعات عن قيام ملك فرنسا القديس لويس بالإعداد لحملة صليبية ضخمة، ولهذا فعندما أرسل الوصي على عكا هيو يطلب عقد هدنة؛ رد بيبرس عليه بإيفاد سفارة إلى عكا تعرض وقف العداوة بصفة مؤقتة.

وطلب أمير أنطاكية بوهيمند باقتراح هدنة [3]، وساءه أن بيبرس لم يخاطبه إلا على أنه كونت؛ نظراً لأنه فقد إمارة أنطاكية، غير أنه قبل في ارتياح ما تهيأ له من فترة للاستقرار.

سادساً: الحملة البرتغالية سنة 1869م:

لم تخمد جذور الروح الصليبية نهائياً في أوربا، ففي سبتمبر سنة 1269م/668هـــــــ، أبحر من برشلونة جيمس الأول ملك أراغوان بأسطول قوي لإنقاذ الشرق [4]. ولكن عاصفة عاتية لم تلبث أن هبت في وجه الأسطول، فأثارت الرعب والاضطراب مما حمل الملك العودة إلى وطنه ومعه القسم الأكبر من أسطوله، ولم يواصل الرحلة إلا أسطول صغير يقوده ولدان غير شرعيين للملك، فبلغا عكا في نهاية ديسمبر سنة 1269م/668هــــــ ، متلهفين لقتال المسلمين[5].

---

(1) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص677.

(2) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص 330.

(3) أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة: عفيف دمشقية، بيروت، الفارابي، ط2، 1998م، ص 311.

(4) عزمي عبد محمد، مرجع سابق، ص 58.

(5) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 297.

وكانت الهدنة المعقودة بين بيبرس وهيو قد نقضت في بداية ذلك الشهر، وظهر بيبرس ومعه ثلاثة آلاف مقاتل في الحقول المترامية أمام عكا، بعد أن ترك بقية قواته مختبئة وراء التلال.

وأراد ولدا جيمس أن يبادرا على الفور بهجوم على المسلمين، ولم يثنهما عن عزمهما سوى ما بذله معهما الفرسان الرهبان من كياسة، إذ ارتابوا أن يقعا فى كمين نصبه بيبرس. بالإضافة إلى ذلك، فقد كانت قوة الصليبيين قد تناقصت إلى درجة كبيرة نتيجة حرب الاستنزاف في المعارك السابقة، وبصورة خاصة الكتيبة الفرنسية، التي خرجت بهدف التعرض للمسلمين، فوقعت في كمين أعده لها بيبرس، بحيث لم يبق منهم على قيد الحياة إلا عدد بالغ القلة(1).

ولما تصايح جند الفرنج في عكا يطلبون المسير لإنقاذهم منعهم من ذلك ولدا ملك أرغوان اللذين وعيا دروسهما، ولم يلبث أن عادا بعدئذ إلى أرغوان من دون أن يحققا شيئاً(2).

ولم تكن المساعدة التي قدمها الغرب كافية لدعم الفرنج، ولكن أمل الفرنج بقى قوياً في الحصول على دعم المغول، ولهذا قرر ملك أراغوان الاشتراك مع البابا كليمنت الرابع في إرسال سفارة إلى بلاط المغول في سنة 1269م/668 بهدف إعلامه عن قرب قدوم حملة ملك أراغوان وحملة الملك لويس الصليبيين، وعقد معاهدة عسكرية معه، غير أن إمبراطور المغول أباقا لم يبذل إلا وعوداً غامضة نظراً لانصرافه التام إلى قتال القبيلة الذهبية، التي أصبحت داعمة للإسلام، وقد ظهر عجز أباقا عن تقديم أي دعم في السنة التالية، عندما هاجم المسلمون أنطاكية ولم يتمكن المغول من إرسال أي دعم لها.

ولم يلبث أن وجه أباقا كل اهتمامه في السنتين التاليتين لاستئناف المفاوضات مع عمه وسيده الخان الكبير في الصين قبيلاي. على أن أباقا كتب في سنة 1270م/669هـــــ إلى ملك فرنسا القديس لويس يتعاهد بأن يبذل مساعدة عسكرية متى ظهرت الحملة الصليبية في فلسطين. ولكن ما حدث بعد ذلك هو أن ملك فرنسا لم يصل أبداً إلى فلسطين، كما لم يقدم أباقا أي دعم، وكل ما فعله لمصلحة هيثوم، أن أطلق سراح أشهر أمراء المماليك واسمه شمس الدين سنقر

---

(1) ستيفن رنسيمان، مرجع سابق،ج3, ص 567.

(2) ستيفن رنسيمان,مرجع سابق,ج3، ص 567.

الأشقر (الباشق الأحمر)، والذي أسره المغول من قبل، وذلك لقاء موافقة بيبرس إطلاق سراح ليو ولي عهد هيثوم [1]. ووافق بيبرس على عقد هدنة مع هيثوم، بشرط أن يتنازل له الأرمن عن حصون جبال الأمانوس وهي دربساك وبهنسا ورعبان، وتم إبرام المعاهدة في أغسطس 1268م/667هـــــ [2].

وفي أوائل السنة التالية 1269م/668هـــــ عاد ليو إلى أرمينيا، بعد أن أذن له بيبرس بالحج إلى بيت المقدس، وبادر والده هيثوم بالتنازل عن العرش، ثم لجأ إلى أحد الأديرة، ثم مات في السنة التالية. وأقر أباقا تنصيب ليو ملكاً على أرمينية، فتوجه إليه ليو وبذل له يمين الولاء[3].

أما بيبرس، فقد بلغته أنباء تحرك ملك فرنسا القديس لويس على رأس حملة صليبية جديدة، ولهذا فقد ظل ملتزماً بالهدوء والسكون طوال صيف سنة 1270م/669هـــــ، غير أنه كيما يضعف الفرنج دبر مؤامرة لاغتيال فيليب مونتفورت سيد صور، والذي كان يعتبر من أعلام بارونات الفرنج وكبار قادتهم. وقد أوكل بيبرس هذه المهمة إلى الإسماعيلية (الحشاشين) وقد أظهر هؤلاء استعدادهم للتعاون بصدق مع بيبرس، لأنه حررهم من الجزية التي كانوا يدفعونها لفرسان الإستبارية. علاوة على ذلك، فقد استنكر الإسماعيليون بشدة ما دار من مفاوضات وما حدث من تعاون بين الفرنج والمغول الذين دمروا معاقلهم في فارس وأبادوهم في كل موضع سيطروا عليه[4].

وعلى هذا أرسل الإسماعيليون أحد الفدائيين إلى صور، وتظاهر هذا بأنه مسيحي، ودخل الكنيسة يوم الأحد 17 أغسطس سنة 1270م/669هـــــ حيث كان فيليب يؤدي بها الصلاة، ومعه ابنه يوحنا، فانقض عليهما فجأة، وتعرض فيليب لجراح قاتلة قبل أن تصل إليه النجدة، على أنه بقي على قيد الحياة حتى علم بأنه تم القبض على الذي حاول قتله،وأن ابنه نجا من القتل، وهكذا تخلص بيبرس من خصم خطير.

---

(1) ابن كثير، مصدر سابق، ج12، ص 287.

(2) محمود شلبي، مرجع سابق، ص 200.

(3) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 298.

(4) المرجع نفسه ، ص 299.

ثم سرت شائعات في سنة 1270م/669هـــ بقيام لويس التاسع بحملة صليبية على تونس، هي الحملة المعروفة بالتاسعة، فعاد بيبرس إلى القاهرة[1].

وتوالت البلاغات خلال صيف 1270م/669هـــ، على القاهرة تفيد بأن لويس قد أبحر بصحبة ستة آلاف رجل إلى شاطئ قرطاجنة بالقرب من تونس، وبلا تردد جمع بيبرس أمراء المماليك وأخبرهم بنية الذهاب على رأس جيش قوي إلى تونس لمساعدة المسلمين، ولكن ما هي إلا أسابيع حتى وصلت رسالة من أمير تونس المستنصر يبلغه فيها أن ملك فرنسا وجد قتيلا في معسكره وأن جيشه قد عاد بعد أن فتك بقسم كبير منه المرض[2].

وظهر بيبرس بصورة مفاجئة في فبراير 1271م/670هـــ أمام صافيتا التي كانت تحت حكم طائفة الداوية، وبعد أن استماتت الحامية في الدفاع؛ أشار عليها مقدم الداوية بالاستسلام، فسمح بيبرس لمن بقي على قيد الحياة بالالتجاء إلى طرسوس وتسلم الحصون والأبراج المجاورة لحصن الأكراد مثل تل خليفة وغيره[3].

ثم زحف بيبرس على حصن الأكراد وفي صبحته الملك السعيد بهاء الدين [4]. فبلغه في 3 مارس1271م/670هـــ وفي اليوم التالي لحقت به كتائب من مقاتلي الإسماعيلية، كما لحق به أمير حماة المنصور ومعه جيشه إلا أن الأمطار الغزيرة التي استمرت عدة أيام أعاقته عن جلب أجهزة الحصار. وعلى الرغم من ذلك، فقد استطاعت قوات المسلمين أن تجد لها طريقاً للوصول إلى باب سور الخارجي، بعد قصف لم يستمر طويلاً، ثم شقوا لهم طريقاً إلى السور الداخلي بعد أسبوعين، فقتلوا كل من صادفهم من الفرسان المدافعين عن البرج، وأسروا المقاتلين من المسيحيين الوطنيين، واستمر كثير من الجند المدافعين في مقاومتهم لمدة عشرة أيام أخرى في

---

(1) عبد العظيم رمضان، مرجع سابق، ص 527.

(2) أمين معلوف، مرجع سابق، ص 312.

(3) المقريزي، مصدر سابق، ج2، ص 69.

(4) اليونيني، مصدر سابق،ج2, ص 444.

محاولة للاحتفاظ بالبرج الكبير الذي يقع في الجنوب من السور، وأخيراً أعلنوا استسلامهم يوم 8 أبريل 1271م/670هـــ ، واستأمنوا وخرجوا إلى طرابلس[1].

وكان استيلاء بيبرس على حصن الأكراد الذي صمد في وجه قادة المسلمين، ومنهم صلاح الدين الأيوبي، عاملاً ضمن لبيبرس السيطرة على الطرق المؤدية إلى طرابلس[2].

ثم رحل إلى حصن عكار، ونصب عليه المجانيق وجد أهله في المناضلة وقاتلهم السلطان قتالاً شديداً حتى سألوا الأمان فتسلمه السلطان[3]، في أول مايو وكتب بيبرس رسالة إلى بوهيمند، قال فيها: إن رايتنا الصفراء قد هزمت رايتكم الحمراء وأن الله أكبر قد اسكتت نواقيس كنائسكم[4].

جعل بوهيمند أمير أنطاكية السابق من مدينة طرابلس عاصمة له بعد أن فقد عاصمته السابقة؛ وإذ خشي بوهيمند أن يفقد طرابلس أيضاً، بعد أن تعاظمت تحديات بيبرس، فقد أرسل إليه يلتمس عقد هدنة معه، إلا أن بيبرس سخر منه لافتقاره إلى الشجاعة، وطلب منه أن يعطي نفقات العساكر من يوم خروجه، ولما لم يكن باستطاعة بوهيمند الاضطلاع بمثل هذا العبء، فقد أظهر تصميمه على رفض شروط بيبرس القاسية[5].

وفي تلك الأثناء نظم بيبرس هجوماً على معقل مرقية الصغير، والذي تم تشييده تجاه الساحل بين بانياس وطرسوس، ولكن هجوم قواته فشل فشلا أثار غضب بيبرس، فحرص الإسماعيلية على اغتيال قائد حامية مرقية واسمه بارتو لوميو، والذي كان قد توجه إلى بلاد المغول يلتمس الدعم[6].

---

(1) ابن خلدون , عبد الرحمن بن محمد بن محمد، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، ط 2، 1988م، ص 448.

(2) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 300.

(3) المقريزي، مصدر سابق، ج2، ص 69.

(4) وليم موير، مرجع سابق، ص 56.

(5) أبو المحاسن، مصدر سابق، ج7، ص 152.

(6) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 300 – 301.

وتوافرت المعلومات لدى بيبرس عن احتمال وصول حملة صليبية جديدة، فوافق على ما كان بوهيمند قد طلبه، وعقد الصلح بينهما مدة عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام[1].

تم توجه بيبرس عائداً إلى مصر، إلا أنه توقف قليلاً في طريق عودته، لإلقاء الحصار على حصن مونتفورت الذي كان تحت سيطرة الفرسان الألمان – التيوتون – وبعد حصار أسبوع واحد استسلمت حامية الحصن، ولم يبق بأيدي الفرنج حصون في داخل البلاد.

لم تتوقف جهود السلطان بيبرس على محاربة الصليبيين في البر، إنما اتجه إلى البحر أيضاً[2]، حيث وجه أسطولاً مؤلفاً من سبع عشرة سفينة لمهاجمة جزيرة قبرص، لتأديب ملكها هيو الثالث، الذي كان دائم التهديد للسفن الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط، ودائم المساعدة للصليبيين[3]، وظهر أسطوله فجأة تجاه ليماسول، إلا أن هبوب عاصفة عاتية حالت دون تحقيق الهدف. فتكسرت قطع الأسطول في مرفأ ليماسول، وأسر العساكر وهم زهاء 1800 رجل كانوا يشكلون عدداً كبيراً من جنود البحرية المملوكية، فعظم ذلك عليه [4]. وكتب إلى القاهرة بإنشاء عشرين شينيا[*] وإحضار خمس شواني كانت بقوص، وكتب إلى صاحب قبرص جواباً أرعد فيه وأبرق[5].

سابعاً: الحملة الإنجليزية سنة 1271م/670هـــ:

كان ملك إنجلترا هنري الثالث قد التزم منذ وقت طويل بقيادة حملة صليبية جديدة، ولكنه وصل إلى مرحلة الكهولة من عمره، ولما لم يتمكن من الوفاء بالتزامه، شجع ابنه – وولي عهده – إدوارد على قيادة حملة صليبية إلى الشرق[6].

---

(1) أبو المحاسن، مرجع سبق ذكره، ج7، ص 152.

(2) محمد علي قطب، مرجع سابق، ص 226.

(3) شفيق جاسر، مرجع سابق، ص 132.

(4) عماد الدين غانم، مرجع سابق، ص 87.

(*) الشواني: جمع الشونة: سفينة حربية قديمة، (المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: صلاح الدين الهواري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 2006م، ص 204.

(5) المقريزي، مصدر سابق، ج2، ص 271.

(6) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص 330.

كان إدوارد في الثلاثينات من عمره، عندما صمم على قيادة حملته بعد أن وصلته أنباء تحرير المسلمين لمدينة أنطاكية، وعندما قام بالإعداد لحملته، أخذ نبلاء إنجلترا، الذين سبق لهم أن وعدوا بمرافقة إدوارد، بالانسحاب والاعتذار واحداً بعد الآخر. وفي النهاية غادر إدوارد إنجلترا في صيف سنة 1271م/670هـ، ولم يصحبه أكثر من ألف رجل وبعض القوات الصغيرة[1].

وكان إدوارد ينوي اللحاق بالملك الفرنسي القديس لويس في تونس، والإقلاع معاً إلى فلسطين غير أنه لما وصل إلى تونس، علم بموت ملك فرنسا واستعداد الحملة الفرنسية الفاشلة للعودة إلى فرنسا، فأمضى إدوارد فصل الشتاء في صقلية وأبحر في الربيع التالي إلى جزيرة قبرص، ومنها إلى عكا حتى وصلها في 9 مايو 1271م/670هـ ولم يلبث أن لحق به الملك هيو الثالث ملك قبرص والأمير بوهيمند أمير طرابلس[2].

وعندما قام إدوارد بدراسة الموقف، تبين له مدى التدهور الذي وصلت إليه حالة الفرنج في بلاد الشام، وأدرك أن جيشه الصغير لا يستطيع أن يحقق شيئاً يذكر، غير أنه بقي يحتفظ بالأمل في توحيد الصليبيين في بلاد الشام، ليكون منهم قوة ضخمة، كما كان يأمل أيضاً في الإفادة من القدرة القتالية للمغول، ودفعهم للقيام بهجوم جديد على المسلمين[3].

وحاول إدوارد توحيد جهود الفرنج، وبذل جهوداً كبيرة، إلا أن محاولاته اصطدمت بعقبات كؤود، فلم تفلح جهوده في الوصول إلى أهدافها، وما أن وصل إلى عكا حتى أرسل سفارة إلى الإيلخان، ووافق الإيلخان أباقا على أن يرسل كل ما في وسعه من مساعدة، وفي الوقت نفسه قنع إدوارد بما شنه عبر الحدود من بضع غارات صغيرة، ووفى أباقا بوعده، في منتصف شهر أكتوبر 1271م/670هـ، فسحب قوة من عشرة آلاف مقاتل من حامياته في بلاد الأناضول، وأرسلها إلى سورية عن طريق عين تاب ونجحت قوة المغول بهزيمة حامية المسلمين التي كانت

(1) عزمي عبد محمد، مرجع سابق، ص 65.

(2) ستيفن رنسيمان، مرجع سابق، ج3، ص 574.

(3) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص 331.

تدافع عن حلب، والتي انسحبت بقاياها إلى حماة، حيث تابع المغول زحفهم، فتجاوزا حلب إلى معرة النعمان، وساد الخوف، والذعر بين السكان المسلمين[1].

وكان بيبرس يتابع الموقف هو يحتفظ معه بجيش كثيف في دمشق، علاوة على ما طلبه من دعم من مصر، ولما شرع في التحرك نحو الشمال في 12 نوفمبر 1271م/670هـ انصرف المغول راجعين بعد أن عرفوا أنه لا قبل لهم بمجابهة القوات التي يقودها بيبرس، كما أن أتباعهم من الترك في بلاد الأناضول جنحوا إلى التمرد، فانسحبوا إلى ما وراء نهر الفرات، بعد أن امتلأت أيديهم بالغنائم[2].

وبينما كان بيبرس منصرفاً إلى قتال المغول، قاد إدوارد الفرنج عبر جبال الكرمل، وأغاروا على سهل شارون، إلا أن قوة الهجوم الصليبي كانت من الضعف العددي بحيث لم تكن قادرة على اقتحام حصن قافون الصغير الذي كان يحرس الطريق عبر التلال.

وظهر بوضوح أنه من المحال على الفرنج قهر المسلمين ما لم يتم حشد قوة ضخمة وما لم تقم حملة مغولية كبيرة، ولهذا فما أن حل ربيع سنة 1272م/671هـ، حتى أدرك إدوارد أنه أضاع وقته هباء، إذ لم يتمكن من حشد قوة ضاربة كبيرة، كما لم يتمكن من حشد حلفاء كبيرين، فانصرف لعقد هدنة تضمن بقاء الكيانات الصليبية لفترة في بلاد الشام لحين عودته [3]، وقد توسط في ذلك شارل أنجو ملك صقلية الذي كان على علاقة طيبة مع السلطان بيبرس[4].

وفي الوقت ذاته، كان بيبرس على استعداد ليعقد مثل هذه الهدنة؛ إذ أن ما تبقى من المناطق الخاضعة للفرنج، ستبقى تحت رحمته، ما لم تجابهه قوى خارجية[5].

وبما أن خطر المغول بقي هو الخطر الرئيس الذي يتهدده في تلك الفترة، فقد كان في حاجة لتركيز جهد دبلوماسي كبير من أجل خلق المتاعب أمام المغول وإعاقتهم عن كل تحرك خارج بلاد الأناضول والأستبس، فإذا ما أمكن للظاهر بيبرس أن يشعر بالاطمئنان على تلك

---

(1) محمد علي قطب، مرجع سابق، ص 301.

(2) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 303.

(3) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص 332.

(4) عزمي عبد محمد، مرجع سابق، ص 66.

(5) محمد علي قطب، مرجع سابق، ص 301.

الجبهة، أصبح من السهل عليه أن يبذل الجهد اللازم لإخضاع ما تبقى من الحصون وتحريرها من قبضة الفرنج[1].

لتحقيق هذا الهدف كان عليه أن يمنع أي تدخل من الغرب، وأن يحافظ على علاقاته الجيدة مع شارل أنجو وهو الأمير الوحيد الذي كان باستطاعته تقديم دعم حقيقي لمساعدة إمارة عكا الصليبية، وكان شارل قد جعل نصب عينيه الاستيلاء على القسطنطينية، ولم يكن لسورية عنده وقت ذاك سوى أهمية ثانوية، فأعرب عن عزمه في التوسط بين بيبرس وإدوارد[2].

وفي 22 مايو 1272م/671هـــ، تم إبرام الصلح في قيسارية بين الظاهر بيبرس وحكومة عكا، وكفل الصلح لإمارة عكا الاحتفاظ بممتلكاتها التي تألفت من السهل الساحلي الضيق من عكا إلى صيدا، وأن يكون لها الحق في استخدام طريق الحجاج إلى الناصرة بدون أن تلقى أي معارضة، والمعروف أن الهدنة التي انعقدت سنة 1271م/670هـــ كفلت لكونتية طرابلس الأمان[3].

وإذ أضحى معروفاً أن الأمير إدوارد يود القدوم مرة أخرى إلى الشرق على رأس حملة صليبية كبيرة، فقد قرر الظاهر بيبرس التخلص منه [4]، فسير أحد الحشيشة إلى عكا وطعنه بخنجر مسموم، ولكن الطعنة لم تكن قاتلة، بيد أنها كانت كافية لثنيه عن عزمه في محاولة الكرة مرة أخرى، وبادر بيبرس بالتملص من هذه الحادثة بأن بعث إلى إدوارد بالتهنئة على نجاته.

لم يكد إدوارد يتماثل إلى الشفاء، حتى تجهز للإقلاع إلى بلاده، وقد سبقه في الرحيل معظم رفاقه، ولم يكن ثمة من الأعمال الأخرى ما يستطيع أن يؤديه، أبحر من عكا يوم 22 سبتمبر 1272م/671هـــ، وعاد إلى إنجلترا فألفى نفسه ملكاً عليها[5].

انصرف الفرنج في بلاد الشام مستفيدين من الهدنة لمعالجة شئونهم الداخلية وخلافاتهم المستعصية على الحل. وفي الوقت ذاته، أمضى البابا جريجوري العاشر الفترة سنة

---

(1) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 303.

(2) محمد علي قطب، مرجع سابق، ص 303 – 304.

(3) بسام العسلي، مرجع سبق ذكره، ص 304.

(4)محمود سعيد عمران، مرجع سابق، 333.

(5)عزمي عبد محمد، مرجع سابق، ص 66.

1272م/671هـــ إلى سنة 1274م/673هـــ لدراسة الوضع في الإمارات الصليبية بالشام وإجراء الأبحاث عن سبب فتور حماسة أمراء الغرب للحملات الصليبية[1].

وعندما عقد الباب جريجوري العاشر مجمع ليون سنة 1274م/673هـــ لم يحضره أحد تقريباً من ملوك أوروبا، إلا أن البابا لم ييأس من هذه النتيجة، فتابع بذل جهوده لحمل ملوك أوروبا على قيادة حملة جديدة وإعداد المناطق المحتلة في فلسطين لاستقبال الحملات التي يحتمل إرسالها[2].

أما السلطان بيبرس، فقد كان باستطاعته الوثوق بالوعود التي حملها إليه مندوب شارل أنجو والتي أكد له فيها أنه لن يثير ضده حرباً صليبية، ولن يتآمر مع المغول.

بفضل هذا الإحساس بالاطمئنان، كان بيبرس مستعداً لأن يهيئ للإمارات الصليبية البقاء بضع سنوات أخرى، وفي الوقت ذاته يستطيع أن يتخذ خطة لمجابهة الإيلخان.

أدرك أباقا ما يتعرض له من الخطر فحرص على أن يقيم تحالفاً مع الغرب، وأرسل إلى عكا خطاباً موجهاً إلى ملك إنجلترا إدوارد في سنة 1273م/672هـــ، وفيه يسأله عن حملته الصليبية التالية، وقد حمل هذه الرسالة إلى أوربا راهب دومنيكاني اسمه إدوارد، فأرسل إدوارد رداً ودياً، غير أنه أعرب عن أسفه بأنه لم يقرر هو والبابا موعد لإرسال حملة صليبية جديدة إلى فلسطين[3].

وفي السنة التالية ظهر مبعوثون من المغول في مجمع ليون، إلا أنهم تلقوا ردوداً غامضة من البابا، ولو أنها ودية في الوقت ذاته.

لم يكن لهذا النشاط الدبلوماسي أية نتيجة، إذ أنه على الرغم من صدقه في عزمه على التوجه بحملة صليبية إلى فلسطين، إلا أنه لم يكن مستعداً حتى في تلك الفترة لإرسال حملة صليبية، وكذلك الأمر بالنسبة لملك فرنسا[4].

---

(1) ستيفن رنسيمان، مرجع سابق،ج3, ص 579.

(2) المرجع نفسه، ج3، ص 585.

(3) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 305.

(4) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 673.

علاوة على ذلك، فقد كان المجلس البابوي خاضعاً لتأثير مضاد من قبل شارل أنجو الذي يكره المغول لأنهم أصدقاء أعدائه البيزنطيين والجنويين، كما أن كل سياسته كانت قائمة على الوفاق الودي مع بيبرس، فكان له دور كبير في إحباط التحالف الصليبي المغولي في مجمع ليون[1].

ثامناً: حملة بيبرس الأخيرة:

أضحى في استطاعة بيبرس أن ينفذ مشروعاته بدون أن يتعرض لتهديد التدخل من قبل الغرب، فقاد بنفسه إغارة على قليقية في ربيع سنة 1275م/674هـــ واستباح المدن الواقعة بالسهل حتى وصل مدينتا سيس والمصيصة فكانتا مسرحاً للسلب والنيران[2].

وبعد سنين قرر بيبرس غزو بلاد الأناضول، ولم يكن السلطان السلجوقي كخسرو الثالث وقتذاك إلا طفلاً، أما وزيره سليمان برواناه حامل أختام السلطان، فكان صاحب السلطة المطلقة في البلاد؛ غير أنه عجز عن ضبط الإمارات التي أخذت في الظهور وأهمها إمارة القرمانيين، ولما تغلب بيبرس على المغول، مال البرواناه إلى جانب المنتصر وأخذ يراسل بيبرس معلناً انضمامه إليه[3].

واحتفظ الإيلخان أباقا بحماية مفككة على سلطنة السلاجقة، قامت بفرضها الحامية المغولية القوية المرابطة، على أن هذه الحامية تعرضت في 18 أبريل سنة 1277م/676هـــ لهزيمة ساحقة في أبلستين على أيدي المماليك وفقد المغول في تلك المعركة ما يقرب من سبعة آلاف رجل، وانجلت المعركة عن هزيمة التتار والروم هزيمة منكرة[4].

---

(1) نعيم فرح، تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، ط2، 2000م، ص 300.

(2) وليم موير، مرجع سابق، ص 57.

(3) بسام العسلي، مرجع سابق، 306.

(4) محمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1960م، ص 99.

ولم تنقض خمسة أيام حتى دخل بيبرس قيصرية الروم، فبادر سليمان برواناه وزير السلطان السلجوقي والأمير القرماني بتهنئة الظاهر بيبرس، وهذا ما أثار غضب الإيلخان أباقا الذي تولى بنفسه قيادة جيش المغول في تعبئة الحرب على بلاد الأناضول.

بعد أن قضى بيبرس في المدينة بضعة أيام رأى أن مركزه فيها مهدد فرحل بطريق النهر الأزرق إلى حارم[1]، فعجل أباقا باسترداد سيطرته على سلطنة السلاجقة، ولما زار ساحة القتال وجد أن أغلب القتلى من التتار تأثر تأثيراً عميقاً أسال دموعه[2]، ثم صب جام غضبه على أهالي البلاد فقتل منهم عدداً كبيراً لأنهم رحبوا بالملك الظاهر، كما قام بإلقاء القبض على سليمان برواناه وأعدمه، بعد أن قام نساء القتلى من المغول بثورة كبيرة مطالبين بدمه لأنه كان السبب في هذه الكارثة[3]، وترددت الشائعات بأنه جعل من لحمه شواء جرى تقديمه في المأدبة الرسمية التي أقامها الإيلخان[4].

ولم يعش بيبرس طويلاً بعد حملته في بلاد الأناضول، وذكرت المصادر روايات مختلفة عن سبب وفاته، إذ ذكرت بعض المصادر أنه مات متأثراً بجراحه في معركته الأخيرة، في حين ذكرت مصادر أخرى أنه مات مسموماً فقد أعد مشروباً مسموماً وذلك لتقديمه للقاهر بن الناصر داؤود الأيوبي أمير الكرك، الذي لحق بيبرس، ووجه إليه إهانة شديدة، فشرب منه الظاهر ساهياً ناسياً[5]، فمات في يوليو سنة 1277م/676هـــ.

أدت وفاة الظاهر بيبرس إلى زوال أكبر خطر كان يتهدد الإمارات الصليبية منذ أيام صلاح الدين الأيوبي، فحينما تولى بيبرس السلطنة، كانت ممتلكات الفرنج تمتد على الساحل من غزة إلى قليقية مع ما يتبعها من الحصون الداخلية التي تحميها من الشرق.

---

(1) محمد جمال سرور، مرجع سابق، ص 99.

(2) وليم موير، مرجع سابق، ص 58.

(3) محمد جمال سرور، مرجع سبق ذكره، ص 100.

(4) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 306.

(5) وليم موير، مرجع سبق ذكره، ص 59.

وأمكن لبيبرس خلال فترة حكمه، التي امتدت سبع عشرة سنة، تحرير مناطق كثيرة بحيث لم يبق في قبضة الفرنج أكثر من بضعة مدن ساحلية، أهمها عكا وصور وصيدا وجبيل وطرسوس، بالإضافة إلى مدينة اللاذقية المعزولة وقلعتي عثليث والمرقب[1].

وقد استطاع بيبرس تحقيق ما أنجزه بفضل ما توافر له من الصفات، فكان نافذ البصيرة في أغراضه وأهدافه، بل كان سلطانه نافذاً في كل بقاع حكمه [2]، فأحبه المسلمون واحترموه، وخافه خصومه وقدروه، وكان في ذلك كله من أعظم حكام عصره فأعاد بذلك سيرة السلطان المجاهد صلاح الدين يوسف الأيوبي في الجهاد[3].

---

(1) أبو البقاء, صالح بن الحسين الجعفري، تخجيل من حرف التوارة والإنجيل، ج1، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1998م، ص 20.

(2) وليم موير، مرجع سابق، ص 59.

(3) الحافظ المزي يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج1، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1980م، ص 11.

الفصل الثاني

معارك التحرير في عصر المنصور قلاوون

(678-689هـ/1279-1290م)

الفصل الثاني

معارك التحرير في عصر المنصور قلاوون

(678-689هـ/1279-1290م)

أولاً: المنصور قلاوون:

هو المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي الألفي ويعتبر من أعظم سلاطين المماليك بعد الظاهر بيبرس، فهو رقيق من بلاد القفجاف، جئ به إلى مصر منذ صغره وبيع للملك الصالح أيوب ولهذا لقب بالصالحي(1)، كان من أحسن الناس صورة، وأبهاهم وأهيبهم في رجوليته، وكان تام الشكل، مستدير اللحية(2).

في سنة ثمان وسبعين وستمائة، في يوم الأحد، الثاني والعشرين من رجب كان جلوسه في السلطنة(3)، بعد خلع سلامش بن الظاهر بيبرس (4)، قبل أن يمضي في السلطنة ثلاثة أشهر وأياماً(5).

وهكذا زال الملك من بين بيبرس على يد قلاوون الذي اصطنعه الظاهر بيبرس وارتبط معه برباط المصاهرة، فزوج ابنه الملك السعيد من غازية خاتون ابنة الأمير قلاوون سنة 674هـ/1275م(6)، لاعتقاده أن قلاوون لن يطمع بالعرش من بعده ومن ثم لن يشكل خطراً على ابنه عند توليه السلطنة. غير أن قلاوون سرعان ما طمع في عرش مصر، على أثر وفاة بيبرس وانتهز فرصة صغر سن الملك العادل وجمع الأمراء وقال لهم: "قد علمتم أن المملكة لا تقوم إلا برجل كامل" إلى أن اتفقوا على خلع سلامش فخلعوه وبعثوا به إلى الكرك (7). ونصبوا قلاوون الذي تلقب بالمنصور.

وفي خلال العام التالي خرج سنقر حاكم دمشق على السلطان قلاوون، ونادى بنفسه سلطاناً على البلاد السورية، فحاربه السلطان وهزمه وعاد الأمن إلى نصابه.

---

(1) أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص 233.

(2) الجزري, شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1998م، ص 29.

(3) أبو الفداء، مصدر سابق، ج4، ص 12.

(4) الديار البكري , حسين بن محمد بن الحسين، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج 2، بيروت، دار صادر، ط 2، 1302هـ، ص 385.

(5) محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، القاهرة، دار الفكر، ط1، 1947م، ص 674.

(6) مفيد الزيدي، العصر المملوكي، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2003م، ص 39.

(7) المقريزي، مصدر سابق، ج2، ص 121.

وسارع قلاوون باتخاذ الحيطة لنفسه فأنشأ فرقة المماليك ليعتمد عليهم في مواجهة الأخطار الداخلية والخارجية على سواء، ولذلك أكثر من شراء المماليك، وكلهم من عنصر الجركس، ورباهم في القلعة وأبراجها لذلك عرفوا بالمماليك البرجية، كما عرفوا بالمماليك الجراكسة، ومن ثم تفرغ لمواجهة المغول والصلبيين[1].

ثانياً: التحالف المغولي – الصليبي أيام قلاوون:

إن إسلام أحمد تكودار وتحالفه مع المماليك، أثار عليه رجال البلاط المغولي الذين وجدوا فيما انتهجه خروجاً على ما ألفوه من نظم وعرف قبلي [2]، ولم يروا غضاضة في العمل على إقصائه، وتحالفوا مع أرغون بن أباقا الذي كان يدبر للوصول إلى العرش خلفاً لأبيه، وبعد معارك طاحنة انتهى الأمر إلى إعدامه عن طريق كسر عموده الفقري لأن الدم الملكي كان محظوراً إراقته[3]، وتسلم أرغون مكانه عام 683ه/1284م ــ، فعمل على اضطهاد المسلمين، وحرمانهم من المناصب التي كانوا يشغلونها[4].

ولم يكتف أرغون بالضغط على العناصر المسلمة في داخل إيران، بل سرعان ما تبع سياسة تفيض حماسة وقوة لخدمة المسيحية والمسيحيين، لذا وجد أن أسلم الطرق لتحقيق مآربه في رقعة الشرق الأدنى العربي هي العمل يداً واحدة مع الصليبيين للقضاء على سلطان مصر وإزالة قوتها في الميدان[5]، فاتفق مع ملك أرمينية على استرداد الأرض المقدسة من المسلمين [6]، المسلمين[6]، كما أرسل إلى البابا هونوريوس الرابع يعرض عليه القيام بعمل مشترك ضد المسلمين، وفي سنة 685 هــ – 1286م أرسل سفارة برئاسة رابان سوما إلى الإمبراطور البيزنطي أندروينكوس الذي أبدى استعداده لمساعدة المغول رغم ارتباطه بمعاهدات سلام مع

---

(1) ليلى عبد الجواد، مرجع سابق، ص 180 – 181.

(2) صبحي عبد المنعم، مرجع سابق، ص 29.

(3) جيمس وأترسون، فرسان الإسلام، حروب المماليك، ترجمة: يعقوب عبد الرحمن، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011م، ص 267.

(4) محمد حمزة إسماعيل، السلطان المنصور قلاوون، القاهرة مكتبة مدبولي، ط2، 1998م، ص 90.

(5) جوزيف نسيم يوسف، الوحدة وحركات اليقظة إبان العدو الصليبي، بيروت، دار النهضة العربية، ط 1، 1981م، ص 32.

(6) سعيد عبد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية, مرجع سابق، ج2، 275.

السلطان. كما أرسل إلى فيليب الرابع ملك فرنسا الذي وعده بالقيام بحملة لاسترداد بيت المقدس، ثم التقى رابا إدوارد الأول ملك إنجلترا[1].

وفي سنة 689هـ/ 1290م أنفذ أرغون رسولاً آخر وهو يدعى بوسكارد كان أقام طويلاً في بلاد المغول وزوده برسائل إلى البابا وملكي فرنسا وإنجلترا، وقد أعلن في رسالة إلى ملك فرنسا باسم الخان[*] الأعظم قوبلاي "أنه بعون الله سوف يصل إلى دمشق في فصل الربيع من عام 690هـ/1291م فإذا أرسل الملك قوات إضافية استولى غازان على القدس وجعلها ملك لفرنسا، كما أرسل رسالة مشابهة إلى ملك إنجلترا الذي أحاله إلى البابا[2].

ولكن أرغون لم يجد استجابة من الغرب، سواء البابا أم الملوك، ولعل من الواضح أن السفارة الأخيرة التي أرسلها أرغون إلى غرب أوروبا جاءت في الوقت الذي سقطت فيه عكا في أيدي المماليك.

ولم يكتفِ بذلك بل بلغ من استبداده أن أصدر أمراً بمهاجمة الحرمين، وتحويل الكعبة إلى معبد للأصنام وقتل علماء الإسلام[3].

وأخيراً مات أرغون عام 1291م/690هـ عن طريق تناوله المشروبات السحرية التي يعتقد أنها تؤدي لطول العمر والتي أساسها الزئبق والكبريت[4].

ثالثاً : اتفاقيات الهدنة مع الفرنج:

كانت تهديدات المغول قد ألجأت السلطان المنصور إلى عقد معاهدات لعشر سنوات مع أمراء الصليبيين في الشام، وتضمنت هذه المعاهدات السماح للسفن المصرية بالقدوم إلى موانيهم

(1) ستيفن رنسيمان، مرجع سابق، ج3، ص 672.

(*) خان: لقب تركي مختصر عن خاقان، ومنذ العهد المغولي أخذت كلمة خان تدل على الملك والسلطان (حسن حلاق وعباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، بيروت، دار العلم للملايين، ط 1، 1999م، ص 79 – 80.

(2) ستيفن رنسيمان، مرجع سبق ذكره، ج3، 676.

(3) عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة: محمد علاء الدين منصور، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط 1، 1989م، ص 454.

(4) جيمس واترسون، مرجع سابق، ص 267.

على أن يتعهد الأمراء بعدم إقامة تحصينات جديدة، علاوة على الأمان لجميع راعايا السلطان حين يقدمون إلى الأملاك الصليبية[1].

وقد كشف السلطان المنصور عن استعداده لضمان وجودهم في الشرق شريطة أن يكفوا بعد كل اجتياح عن لعب دور المساعدين لأعداء الإسلام من المغول [2]. ومن جهتهم كان الصليبيون في بلاد الشام، في حالة سيئة بفعل الصراعات الداخلية التي نشبت بينهم، لذلك، وافقوا على الدخول في السلم الذي عرضه عليهم المنصور[3]. وتم عقد الهدن التالية :

1 – الهدنة مع الاستبار 680هـ/ 1281م:

وصل المنصور وهو بمنزلة الروحاء [*] رسل الفرنج يسألون تقرير الهدنة لأهل المرقب والزيادة على الهدنة التي عقدها الظاهر بيبرس، ومازالوا يترددون إلى أن تقررت الهدنة [4]، بين الملك المنصور وولده الصالح علاء الدين علي معاً ومتملك طرابلس وجميع الأخوة الاستبارية بعكا لمدة عشر سنين كوامل متواليات[5]، ومن أهم شروطها:

1-البلاد المشمولة بهذه المعاهدة: جميع بلاد السلطان بما فيها من الأقاليم والممالك والقلاع والمدن والحصون والبلاد والقرى من الفرات إلى النوبة[6].

---

(1) ابن عبد الظاهر, محي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1961م، ص 45.

(2) أمين معلوف، مرجع سابق، ص 312.

(3) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 180.

(*) الروحاء: على الزاب من نواحي أرمينية (الإدريسي , محمد بن محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 2، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1989م، ص 658.

(4) النويري أحمد عبد الوهاب بن محمد، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج 31، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ط 1، 1423هـ، ص73.

(5) محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط 2، 1982م، ص 199.

(6) ابن الفرات , ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، ج7، تحقيق: قسطنطين زريق، بيروت، المطبعة الأميركانية، ط1، 1942م، ص 204.

2–على أن البرنس لا يستجد خارج ما وقعت الهدنة عليه ,بناء يدفع ولا يمنع,وكذلك السلطان لا يستجد بناء قلعة ينشئها من الأصل في البلاد ,التي وقعت الهدنة عليها ,وعلى الشواني من الجهتين أن تكون آمنة,كل طائفة من الأخرى .

3–وأن يردوا كل من عندهم من أسرى المسلمين الذين كانوا عندهم، وحلف لهم السلطان ونودي بالصلح... وحلف مقدم بيت الاستبار واسمه أفريز نيكول للورن[1]

2 – الهدنة مع طرابلس 680هـ / 1281م:

كان الظاهر بيبرس، قد عقد هدنة مع تملك طرابلس لمدة عشر سنين إلا أنه توفي قبل انقضاء مدة المعاهدة [2]، ولما توجه المنصور إلى دمشق لملاقاة التتار جاءته رسل صاحب طرابلس يطلبون تمديد الهدنة الظاهرية.

وتقررت الهدنة مع متملك طرابلس بيمند بن بيمند لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات يتبع بعضها بعضاً أولها يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ثمانين وستمائة للهجرة الموافق الخامس من تموز سنة ألف وخمس مائة اثنين وتسعين للاسكندر وآخرها سابع عشر ربيع الأول سنة تسعين وستمائة للهجرة النبوية وذلك على بلاد السلطان الملك المنصور وبلاد ولده السلطان، الملك الصالح قريبها وبعيدها سهلها وجبلها، وما هو مجاور لطرابلس ومحادد لها من المملكة البعلبكية وكان من بين شروطها[3]:

1–يضم نواب السلطان وصاحب طرابلس مدينة اللاذقية للأشراف على استخراج الجبايات وتقسيمها مناصفة.

2–على صاحب طرابلس ألا يبني خارج مدينته ولا في البلاد التي وقعت الهدنة حصناً أو قلعة، وكذلك يتعهد السلطان بألا ينشئ قلعة تجاور البلاد التي وقعت الهدنة[4].

---

(1) بيبرس الدوادار, ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، تحقيق: دنالدس. ريتشاردز، بيروت، الشركة المتحدة للتوزيع، ط1، 1998م، ص 191.

(2) العسقلاني, شافع بن علي، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1998م، ص 147.

(3) ابن الفرات، مصدر سابق، ج7، ص 210.

(4) محمد جمال سرور، دولة بني قلاوون، مرجع سابق، ص 233.

3-ألا تدخل طرابلس غلة للأمير بيمند ولا غيره دون أن يحصل عليها رسوم[1].

4-ولا ينقض ذلك بموت أحدهما، ولا بتغييره، وأن لا يحسن لأحد من أعداء مولانا السلطان، ولا يتفق عليه، برمز ولا خط، ولا مراسلة، ولا مشافهة، وتقررت الحال على ذلك وعادت الرسل[2].

3 – تجديد الهدنة مع بيزنطة 680هـ/ 1281م:

لم تتوقف علاقات المودة والصداقة التي كانت تربط الدولة البيزنطية بمصر بعد انتهاء عهد السلطان الظاهر، بل استمرت العلاقات بينهما ثابتة في عهد السلطان قلاوون الذي حرص على تمتين أواصر السلام مع الملوك المعاصرين له [3]، أما الإمبراطور البيزنطي ميخائيل الثامن فقد كانت لديه أسباب تجعله يحرص على استمرار الصداقة مع السلطان المملوكي الجديد المنصور قلاوون، ومن هذه الأسباب الانتصارات التي أحرزها السلطان على الصليبيين[4].

وقد كتب بذلك إلى السلطان قلاوون قائلاً: "إذا أراد السلطان الملك المنصور أن يكون بينه وبين مملكتي محبة فمملكتي أيضاً تؤثر ذلك... ولهذا وجب أن يتوسط هذا الأمر بيمين واتفاق لتدوم المحبة بين مملكتي وعز سلطانه ثابتة بلا تشويش[5].

أما بالنسبة للمنصور قلاوون فقد حرص على تجديد المعاهدة التي عقدها بيبرس مع ميخائيل، كما حرص على استمرار الصداقة لدوافع مماثلة وهي: رغبته في تحريض البيزنطيين على الصليبيين، والحصول على مساعدة الدولة البيزنطية، وانطلاقا من حرصه على استمرار علاقات المودة والصداقة مع الدولة البيزنطية، تم عقد اتفاقية بين الطرفين في عام 680هـ/ 1281م نصت على: "ألا يشن حرباً على بلاده، ولا على قلاعه ولا على عساكره في بر ولا بحر، ولهم أن يتوجهوا حيث يسيرهم سلطانهم في تلك البلاد، على أن يعودوا آمنين مطمئنين"[6].

---

(1) عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، ط 1، 1966م، ص 284.

(2) النويري، مصدر سابق، ج31، ص 77.

(3) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 199.

(4) ليلى عبد الجواد، مرجع سابق، ص 185

(5) ابن الفرات، مصدر سابق، ج7، ص 229.

(6) ابن عبد الظاهر، مصدر سابق، ص 208 – 209.

ولما ولي أندرو نيقوس الثاني سار على سياسة والده في التقرب من المماليك، فأرسل إلى قلاوون هدية من الحرير الأطلس ومن البسط(1)، فسر بها سروراً كبيراً وغمر الرسل بالهدايا(2).

4 – الهدنة مع الداوية في طرطوس 681هـ/ 1282م:

الداوية هي جمعية دينية أنشئت في أول الأمر لحماية طريق الحجاج المسيحيين بين يافا وبيت المقدس، ثم تحولت إلى هيئة حربية بحتة (3)، اتخذت من الصليب الأحمر شارة لها، وقد تألفت من ثلاث طبقات هي: الفرسان ,والأجناد، ورجال الدين، واشتركت في جميع الأعمال العسكرية التي قامت بها مملكة بيت المقدس(4).

وقـــــــد ورد نـــــص الهدنة معهم على النحو التالي: "استقرت الهدنة بين الملك المنصور وولده السلطان الملك الصالح علاء الدنيا والدين علي، وبين المقدم أفريز كليام ديباجوك مقدم بيت الداوية، بعكا والساحل، وبين جميع الإخوة الديوية بأنطرطوس، لمدة عشر سنين كوامل، أولها خامس المحرم سنة إحدى وثمانين وستمائة الموافق الخامس عشـــــــر نيسان سنـــــــــة ألـــــــف وخمسمائـــــة ثلاثـــــة وتســــــــعين للإســــكندر الأكــــــبر علـــــــى بلاد مــــــــــــــولانا
السلطان وما حوته مملكته وكتبت الهدنة وعينت فيها الممالك السلطانية(5).

وأهم شروطها:

1–لا يتخطى أحد من أنطرطوس وبلادها إلى بلاد السلطان، ولا إلى قلاعها وحصونها مما عُين في الهدنة وما لم يتعين(6).

2–تكون أنطرطوس وبلادها المعنية في الهدنة ومن بها من الإخوة الفرسان والرعايا القاطنين والمترددين آمنين مطمئنين من مولانا السلطان.

---

(1) محمد حمزة إسماعيل، مرجع سابق، ص 101.

(2) النويري، مصدر سابق، ج31، ص 127.

(3) حسن حلاق وعباس صياغ، مرجع سابق، ص 88.

(4) ستيفن رنسيمان، مرجع سابق، ج2، 249 – 250.

(5) ابن عبد الظاهر، مصدر سابق، ص 20.

(6) بيبرس الدوادار، مصدر سابق، ص 230.

3-ولا يتخطى أحد من بلاد السلطان إلى أنطرطوس وبلادها بغارة أو مكروه حتى انقضاء الهدنة.

4-ولا يتجدد حصن ولا برج ولا قلعة في بلاد انطرطوس[1].

5 – الهدنة مع عكا وصيدا وعثليث 682هـ/ 1283م:

في يوم الخميس عاشر المحرم رحل السلطان المنصور من الروحاء ووقف باللجون [*] وعاد رسوله من عكا وبصحبته رسل الفرنج من عكا والمرقب، فاستحضرهم يوم الجمعة حادي عشر محرم[2]، وبحضور الأمراء تقررت الهدنة بين الفريقين، ووافقت الطوائف الدينية عليها[3].

واستقرت الهدنة بين السلطان المنصور سيف الدين أبي الفتح قلاوون وولده السلطان الملك الصالح علاء الدين علي وبين الحكام بمملكة عكا وصيدا وعثليث لمدة عشر سنين كوامل وعشر أشهر وعشر أيام وعشر ساعات[4]، وحصل الاتفاق على الهدنة، وحلف لهم المنصور على على الصورة التي وقع الاتفاق عليها [5]، قائلاً: "إني أفي بحفظ هذه الهدنة المباركة التي استقرت بيني وبين مملكة عكا والمقدمين بها على عكا وعثليث وصدا وبلادها".

ثم حلف رسول الفرنج قائلاً: " إنني من وقتي هذا وساعتي هذه قد أخلصت نيتي، وأصفيت طويتي في الوفاء للسلطان المنصور وولده الملك الصالح ولأولادهما على جميع ما تضمنته هذه الهدنة المباركة التي انعقد الصلح عليها"[6].

---

(1) ابن عبد الظاهر، مصدر سابق، ص 22.

(*) اللجون: مدينة بالأردن، في وسطها صخرة كبيرة مدورة، وعلى الصخرة قبة مزار يتبركون بها (زكريا القزويني , مصدر سابق)، ص 259.

(2) البرزالي , علم الدين أبي القاسم بن محمد، المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، ج 1، ق1، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 2006م، ص 504.

(3) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 180.

(4) ابن الفرات، مصدر سابق، ج7، ص 263.

(5) ابن تغري بردي يوسف بن تغري بردي بن عبد الله، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج 7، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط1، 1963م، ص 300.

(6) القلقشندي، مصدر سابق، ج13، ص 312.

وإن نص المعاهدة التي عرضها على مملكة عكا لتولف محاولة فريدة من قبل هذا الإداري الماهر المستنير"لتطبيع" وضع الفرنج يقول النص: "متى تحرك أحد من ملوك البحر الفرنجية وغيرهم لقصد المنصور لمضرة... السلطان ومضرة ولده ... يلتزم نائب المملكة والمقدمون بعكا ... السلطان بحركتهم قبل وصولهم إلى البلاد بمدة شهرين ... وإن وصلوا بعد انقضاء مدة الشهرين فيكون ... والمملكة ... والمقدمون براء من عهدة اليمين في هذا[1].

6 – الهدنة مع صاحب سيس 684هـ/ 1285م:

لما كان السلطان المنصور يحاصر حصن المرقب، حضر كبير الداوية في بلاد الأرمن ومعه رسالة شفوية من ليفون بن هيثوم صاحب سيس [*] ورسالة من مقدم الداوية مضمونها طلب العفو عن صاحب سيس الأرمني الذي كان السلطان يتجاهل رسله، فاستعان بمقدم الداوية، وبعد الأخذ والرد مع كبير الداوية وافق السلطان على إمضاء الهدنة في سنة 684هـ/1285م، ومن شروطها.

1-أن يحمل في كل سنة ألف ألف درهم.

2-أن يطلق كل تاجر معتقل عنده بأموالهم وبضائعهم[2].

7 – الهدنة مع مملكة صور 684هـ/ 1285م:

كان استيلاء السلطان قلاوون على حصني المرقب ومرقية قد أثر على صاحبة صور مرجريت، التي اضطرت إلى شراء الصلح من قلاوون بشروط مهينة [3]، لمدة عشر سنين، وأن تتنازل عن نصف دخل صور السنوي، كما تعهدت بعدم تجديد تحصيناتها[4].

---

(1) أمين معلوف، مرجع سابق، ص 313.

(*) سيس: أعظم مدن الثغور الشامية بين أنطاكية وطرسوس (ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج 3)، ص 297.

(2) عبد العظيم رمضان، مرجع سابق، ص 528.

(3) محمد جمال سرور، دولة بني قلاوون، مرجع سابق، ص 238.

(4) محمد ماهر حمادة، مرجع سابق، ص 316.

ثم تمت الموادعة مع صاحبة بيروت لمدة عشر سنين كوامل متواليات متتابعات أولها يوم الخميس الرابع عشر وثمانين وستمائة للهجرة، وآخرها الرابع عشر من جمادى الأول من سنة أربع وتسعين وستمائة[1]

8 – الصلح مع ملك أرغون وأخيه صاحب صقلية 689هـ/ 1290م:

كانت إمارة أرغون من بين الإمارات المسيحية التي ارتبطت مع مصر بعلاقات المودة والصداقة، فعقد ملكها وملك صقلية معاهدة مع السلطان قلاوون [2]. تلزمهم بمساعدة قلاوون ضد أي حرب صليبية وضد اللاتين بسورية إذا نقضوا الهدنة التي أبرموها مع هذا السلطان[3].

وحرص جيمس الثاني ملك أرغون على إقامة صداقة قوية مع الملك المنصور من أجل رعاية شئون المسيحيين في الشرق وتنمية موارد بلاده بفتح أسواق تجارية لها في مصر.

وشجع الرخاء التجاري النامي أمراء أرغون على زيادة الانفتاح على دولة المماليك. وكان ألفونسو الثالث قد أرسل إلى القاهرة، بالاتفاق مع أخيه جاك ملك صقلية، سفارة إلى السلطان لعقد معاهدة تحالف دفاعي هجومي، وتعهد فيها بمساعدة السلطان ضد أي حرب صليبية، وضد الصليبيين في بلاد الشام إذا نقضوا الهدنة التي أبرموها معه، وأبرمت المعاهدة في شهر ربيع الآخر في عام 689هـ/ شهر نيسان عام 1290م[4].

ثم حلف عليها السلطان قلاوون، قائلاً: "والله، والله، والله، إن هذا الصلح والصداقة، الذي تغرر بيني وبين الملك الريد راغون [*] لا أغيره، ولا أخرج عنه ما دام الريد راغون وافيا بالمين"[5].

9 – الهدنة مع جنوة 689هـ/ 1290م:

---

(1) ابن عبد الظاهر، مصدر سابق، ص 103.

(2) محمد حمزة إسماعيل، مرجع سابق، ص 101.

(3) محمد جمال سرور،دولة بني قلاوون, مرجع سابق، ص 239.

(4) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 200.

(*) الريد راغون: من الألقاب التي أصلح عليها لملوكهم ممن يملك البلاد المعروفة بأرغون، والريد في لغة أهل القسطنطينية يعني الملك (القلقشندي، مصدر سابق، ج6)، ص 84.

(5) ابن عبد الظاهر، مصدر سابق، ص 162.

بعد استيلاء السلطان المنصور على طرابلس، خرج جنوى اسمه بنيت زكريا إلى قبرص وأخذ في أعمال القرصنة ضد السلطان المنصور، وصادف مركباً خرج من الإسكندرية فيه تجار، فأخذهم بعد قتال شديد، وعندما ذهب إلى جنوة [*] أنكروا عليه ذلك وأخذوا منه التجار والمال، وسيروا رسلاً إلى السلطان خوفاً من سطوته وطلباً لمرضاته، وسألوا في تقرير هدنة، وتوقف السلطان توقفاً كثيراً، واشتد إنكاره عليهم، وهم يتضرعون ويسألون، وآخر الأمر لأجل عمارة الثغور، ولأن هذا الجيش يجلب معه الأموال، ويحصل الديوان منهم الجمل الكثيرة[1].

أبرم مع الجنويين معاهدة تجلي فيها تصميمه الواضح على تحقيق رغبات التجار الأجانب. ويبدو أنه تكفل بأن يجذب إلى بلده الجمهوريات التجارية الإيطالية [2]. كما منح البنادقة عدة امتيازات سهلت عليهم سبل التجارة مع مصر، وتعهد لهم بحماية رعاياهم وأموالهم [3]، وجعل لهم فنادق يسكنون فيها، وصار لهم قنصل دائم يتحدث مع الممالك التي ينتمون إليها[4].

ثم استقر الصلح بين السلطان المنصور، وولده الملك الأشرف، وبين الجنوية، وحلف على ذلك البرت اسنبيولا وجميع الجنوية وكتب بتاريخ ثالث عشر مايو سنة ألف مائتين وتسعين للميلاد[5].

رابعاً: معركة حمص 680هـ/ 1281م:

كان الإيلخان أبغا خليفة هولاكو في فارس، حريصاً على أن يقاتل المماليك، قبل أن يستطيع قلاوون توطيد مركزه، إذ لا زال سنقر نائب دمشق السابق يتحدى قلاوون في شمال سورية[1].

(*) جنوة: مدينة في بلاد الروم على ساحل بحر الشام، وهي مدينة قديمة البناء حسنة الجهات شاهقة البناء وافرة البشر، وأهلها تجار مياسير يسافرون براً وبحرا (الحميري أبو عد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار،ج 1, تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر الثقافية، ط2، 1980م، ص 173.

(1) ابن عبد الظاهر، مصدر سابق، ص 165.

(2) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 200.

(3) محمد جمال سرور، دولة بني قلاوون , مرجع سابق، ص 339.

(4) عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، الرياض، مكتبة الرشيد، ط 1، 1995م، ص 135.

(5) ابن عبد الظاهر، مصدر سابق، ص 167.

كما أن اختلاف كلمة المسلمين آنذاك أفاد المغول في فارس، ومن المؤسف أن بعض أمراء المماليك كان لهم دور غير مشرف مع المغول، وعلى رأسهم الأمير سنقر الأشقر، الذي كاتب أبغا بن هولاكو ملك التتر وأطمعه في البلاد [2]. وحضه على قصد الديار الشامية، وذلك لدعم تمرده في دمشق ضد قلاوون [3]، فجمع أبغا الجُموع، وتجهز لقصد البلاد [4]. ثم زحف التتر سنة 680هـــ/1281م إلى الشام فسار أبغا في عساكر المغل وجمع جموع التتر وانتهى إلى الرحبة فحاصرها، ومعه صاحب ماردين وقدم أخوه منكوتمر في العساكر إلى الشام[5].

فلما سمع السلطان ذلك أعظمه، وأرسل إلى سنقر ولاطفه وأذكره قديم الصحبة، وما يجب عليه من حقوق الصلة الإسلامية، وقال له: "كيف تكون قد أفنيت عمرك في الإسلام، ولما تقاذفت بك الأعوام، ونادى داعي الحمام، تجاهد المسلمين مع التتار، وتميل عن دينك إلى الكفار؟"[6].

ثم استنفر المنصور جميع الأطراف بالحضور إلى دمشق بسبب قرب وصول العدو من أطراف البلاد. وفي يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة 680هـــ/1281م وصل إلى دمشق خلق عظيم من العربان بصحبة الأمير شهاب الدين أحمد بن حجي ملك العرب ببرية الشام والحجاز[7]. وعبر معهم الملك مسعود صاحب الكرك، وقدم الناس عليه ووفدوا إليه من كل مكان، وجاءته التركمان، والأعراب وغيرهم، وكثرت الأراجيف بدمشق، وكثرت العساكر بها [8]. ووصل الخبر بوصول التتار إلى أطراف بلاد حلب، فخلت حلب من أهلها وجندها ونزحوا إلى جهة حماة وحمص، وتركوا الغلال والحواصل والأمتعة[9].

---

(1) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 316.

(2) أبو الفداء، مصدر سابق،ج4, ص 13.

(3) جيمس واترسون، مرجع سابق، ص 258.

(4) بيبرس الدوادار , ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار، مختار الأخبار، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، ص 1993م، ص171.

(5) ابن خلدون، مصدر سابق، ج5، ص 457.

(6) بيبرس الدوادار، مختار الأخبار, مصدر سابق سبق ذكره , ص 72.

(7) اليونيني، مصدر سابق، ج4، ص 91.

(8) ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص 344.

(9) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج7، ص 302.

ثم ورد الخبر بوصول منكوتمر إلى عينتاب وما جاورها في يوم الأحد سادس عشر جمادى الآخرة، فخرج المنصور بعساكره وخيم بالمرج، ووصل التتار إلى بغراس، فقدم الملك المنصور عساكره أمامه، ثم رحل السلطان من المرج لاحقاً بالعساكر المتقدمة إلى ظاهر حمص، وفي يوم الأحد ثالث رجب 680هـ/1281م نزل السلطان وجميع العساكر والجموع على حمص[1].

وأرسل بعض المماليك إلى سنجر قائلين: " هذا العدو قد دهمنا وما سببه إلا الخلف بيننا وما ينبغي هلاك الإسلام" [2]. وكانت النتيجة أن طلب من السلطان أن لا يؤذيه، فأجابه السلطان إلى مراده، فحضر إلى المخيم، واستبشر المسلمون بقدومه، لأنه كان عوناً عليهم، فصار عوناً لهم مع ما له من السمعة المذكورة، والمواقف المشكورة[3]. وكان ذلك قبل المصاف بيومين[4].

واتفق أن شخصاً من عسكر التتار، دخل حماة، وقال للنائب بها،اكتب الساعة للسلطان على جناح طائر، وعرفه أن القوم ثمانون ألف مقاتل في القلب منهم أربعة وأربعون ألف من المغل وهم طالبون القلب، وميمنتهم قوية جداً، فتقوى ميسرة المسلمين. وتحرز على الصناجق [*] فكتب النائب بذلك إلى السلطان[5].

لذلك بادر السلطان إلى تفقد جيشه، وطيب خاطرهم ووعدهم بالخيرات فيما أعد الله للمجاهدين من المجارات[6]. وتمت تعبئة الجيش الإسلامي على النحو التالي:

1/ الميمنة: جعل فيها عساكر حماة[7]، والأمير بدر الدين بيسري والأمير علاء الدين طبيرس، والأمير عز الدين الأفرم، ومن معهم من أتباعهم من الأمراء ومقدمي الحلقة والأجناد،

---

(1) البرزالي، مصدر سابق، ج1، ق1، ص 517.

(2) بيبرس الدوادار، مختار الأخبار، مصدر سابق، ص 72.

(3) أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص 236.

(4) النويري، مصدر سابق، ج31، ص 31.

(*) الصناجق: تعني لغة: الراية، العلم، اللواء، الرمح. وفي الاصطلاح كانت تطلق على أصغر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية. أصل الكلمة تركي، (حسان حلاق وعباس صباغ، مرجع سابق)، ص 120.

(5) النويري، مصدر سابق، ج31، ص 31.

(6) بيبرس الدوادار، مختار الأخبار، مصدر سابق، ص 73.

(7) أحمد إبراهيم الصابوني، تاريخ حماة، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1، 2012م، ص 33.

والأمير حسام الدين لاجين نائب الشام والعسكر الشامي [1]، ووضع في رأس الميمنة شرف الدين عيسى بن مهنا وآل فضل وآل مري، وعرب البلاد الشامية ومن انضم إليهم.

2/ الميسرة: كان في مقدمتها سنقر الأشقر ومعه عدد من الأمراء، بالإضافة إلى التركمان، وعسكر حصن الأكراد.

3/ القلب: وفيه الأمير حسام الدين طرنطاي وجنوده، والأمير بدر الدين بكتاش وجنوده، ومن خلفهم السلطان تحت الصناجق وحوله مماليكه والطبردارية [*] والسنجقدارية [**] وهو ثابت على صهوة جواده، ثبوت الطود الراسي محتسباً في سبيل الله عز وجل[2].

وجملة العسكر الإسلامي لا تزيد عن خمسين مقاتل، واستغاث الخلق والأطفال يوم الأربعاء وتضرعوا إلى الله بالنصر[3].

أقبل منكوتمر يطوي البلاد، ثم أشرفت كراديس التتار كالأمواج مترادفة كالبحر العجاج وأقبلوا ينسلون من الفجاج وهم كقطع الليل المظلم والمسلمون كالسراج الوهاج قد أشرقت عليهم أنوار التوحيد، وأشعة الحديد[4].

والتقى الفريقان بظاهر حمص في الساعة الرابعة من يوم الخميس رابع عشر رجب الفرد[5]. بالقرب من مقام خالد بن الوليد، وتولى منكوتمر قيادة قلب الجيش المغولي. وأخذ أمراء آخرون من المغول مواقعهم في ميسرته، على حين كان على ميمنته عساكر الكرج المساعدة، ليو ملك أرمينية والإسبتارية[6]، الذي تحالف مع منكوتمر في هذه الحملة[7].

---

(1) الذهبي، مصدر سابق، ج5، ص 58.

(*) الطبردار: هو مركب من لفظين فارسيين وأحدهما طبر ومعناه الفأس، والثاني دار ومعناه ممسك: فيكون المعنى ممسك الفأس (محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، بيروت، دار الفكر العربي، ط1، 1990م، ص 160.

(**ا) لسنجقدارية: هم الذين يمسكون الرماح (القلقشندي، مصدر سابق، ج5)، ص 430.

(2) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، مصدر سابق، ص 197.

(3) الذهبي, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، ج5، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط1، 1984م، ص 326.

(4) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، مصدر سابق, ص 197.

(5) العمري، مصدر سابق، ج27، ص 431.

(6) ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص 345.

(7) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 318.

وبدأت المعركة التاريخية، فاقتتلوا قتالاً عظيماً لم ير مثله من أعصار متطاولة [1]، فقامت ميسرة التتار بصدم الميمنة الإسلامية صدمة شديدة، إلا أنهم ثبتوا لها ثباتاً عظيماً. ثم قامت الميمنة بهجوم معاكس على ميسرة التتار التي انهارت معنوياتها لإخفاقها في الدفاع، فانهزمت ولاذت بالفرار ووصل الفارون إلى القلب وفيه منكوتمر، أما القلب فيقول بيبرس المنصوري الذي حضر المعركة: "إن التتار عندما يئسوا من ميمنة المسلمين توجهوا إلى السلطان مباشرة في رأس القلب، فأشار إلينا السلطان أن نردفه فردفناه جميعاً وقتلنا الذين قصدوه، قتلاً ذريعاً ودارت عليهم دائرة الحتوف، فانكسرت ميسرة العدو كسرة تامة ولاذ منكوتمر بالفرار مع من بقي من الميسرة فتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون[2].

أما الميسرة الإسلامية فإنها لم تصمد للتار وانهزمت سريعاً، وساق التتر في أثر المنهزمين حتى وصلوا إلى تحت حمص وقتلوا السوقية والغلمان والعوام وخلقاً كثيراً[3]، ثم عملوا عملوا بنصرة المسلمين وهزيمة جيشهم فولوا منهزمين، وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون [4]، وأبلى عيسى بن مهنا وجيشه بلاءاً حسناً عندما هجم بأصحابه على التتار وطاب لهم الموت في سبيل الله فتم النصر عند الغروب ففتح الله ونصر وولى العدو المعلون[5]. بقدرة الله تعالى[6].

ولما وصل خبر هذه الكسرة إلى أبغا، الذي كان يحاصر عينتاب هرب بمن معه، وافترق التتار بعد الهزيمة إلى فرقتين، الأولى توجهت نحو سلمية والثانية توجهت نحو حلب والفرات [7]، وغرق منهم خلق كثير، وتوجه منهم ألف وخمسمائة فارس إلى بغراس وفيهم أكابر سيس

---

(1) ليلى عبد الجواد، مرجع سابق، ص 82.

(2) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة , مصدر سابق, ص 198.

(3) ابن الوردي، مصدر سابق، ج5، ص 327.

(4) العمري، مصدر سابق، ج27، ص 432.

(5) الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ج23، ص 342.

(6) الصفدي ,الحسن بن أبي محمد، نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 2003م، ص 160.

(7) ابن خلدون، مصدر سابق، ج7، ص 304.

وأقاربهم فخرج عليهم الأمير شجاع الدين بمن معه فقتلهم وأسرهم عن آخرهم بحيث لم يفلت منهم إلا دون العشرين[1].

انجلت هذه الوقعة عن قتل الجمع الغفير من التتر لا يحصون كثرة [2]. أما المسلمين فقد كان عدد الذين استشهدوا منهم دون المائتين منهم الحاج أزدمر، وسيف الدين الرومي وعز الدين بن النضر وغيرهم رحمهم الله أجمعين[3].

وبعد المعركة طلب السلطان قلاوون من كاتب الإنشاء محي الدين بن عبد الظاهر أن يرسل بطاقة على جناح طائر يبشر فيها أهل دمشق بهذا النصر[4].

ووصلت بطاقة الحمام الزاجل إلى دمشق بعد صلاة الجمعة، تتضمن النصر والظفر وانهزام المغول، ويصف اليونيني الذي كان في دمشق هذا الحدث قائلاً: "إنه وصلت إلى دمشق بعد صلاة الجمعة الخامس عشر من رجب بطاقة من القريتين فيها أخبار الظفر والنصر وانهزام العدو فضربت البشائر على قلعة دمشق، وزينت المدينة وأوقدت الشموع"[5].

فلما كانت ليلة السبت 16 رجب 680هـــ/1281م وصل منهزمي ميسرة المسلمين ومنهم الأمراء والأعيان وأخبروا بما شاهدوه من الهزيمة في أول الأمر ولم يكونوا شاهدوا بعد ذلك، فبغي الناس في قلق عظيم وخوف شديد وتهيأ ناس كثير للهرب [6]. فوصل في تلك الساعة بريدي يخبر بالنصر، فطابت قلوب الناس. ثم ورد بريدي آخر مؤكداً لما جاء به الأول فتكامل السرور، وتم الأمن وعاد الناس إلى ما كانوا عليه من الزينة[7]. ولله الحمد والمنة.

---

(1) المقريزي، مصدر سابق، ج2، ص 150.

(2) ابن الفرات، مصدر سابق، ج7، ص 219.

(3) البرزالي، مصدر سابق، ج1، ق1، ص 520.

(4) عادل محمد نبهان، نظام البريد ودوره في الصراع بين المماليك والمغول، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، م8، العدد: 1، مارس 2011م، ص 50.

(5) اليونيني، مصدر سابق، ج4، 95.

(6) ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص 345.

(7) اليونيني، مصدر سابق، ج4، ص 95.

ودخل السلطان دمشق يوم الجمعة 22 رجب الفرد 680هـ/1281م. وامتدحه الشعراء، وأكثروا المدائح والهناء بهذا النصر [1]، ثم غادرها متوجهاً إلى الديار المصرية مؤيداً منصوراً، ودخلها وسط احتفالات خيالية لم يسبق لها مثيل، بعد غيابه عنها زهاء ثمانية شهور قضاها في الجهاد وتثبيت أركان الدولة[2].

أما منكوتمر فقد أصيب بغم شديد، بعد هزيمته في هذه المعركة، وعندما لم يستطع تحقيق أمنيته أصيب بالصراع، حتى مات وهو يأكل لسانه بأسنانه من شدة الصرع، كما مات أخوه أبغا غماً وكمداً[3].

بناء على ما سبق يمكن القول بأن المماليك بفضل توحدهم حققوا انتصاراً باهراً على المغول، ومن تمردوا بالأمس كانوا أشد المقاتلين قتالاً على المغول في المعركة وهم الذين حسموها لصالح المسلمين.

خامساً: تحرير المرقب 684هـ/ 1285م:

1/ مقدمات الفتوح:

أ/ فتح قلعة قطيبا: 682هـ/ 1283م:

هي من جملة قلاع آمد – ديار بكر – كانت تابعة للإمبراطورية البيزنطية، ثم انتقلت إلى المغول وكان فيها ضرر بالغ على قلعة كركر[*] الإسلامية والثغور المجاورة لها[4].

وجريا على سياسة قلاوون في التخلص من المستعمرات الغربية سواء الصليبية أو المغولية، فقد رأى إزالة هذه القلعة فحاصرها بمائة من رجاله كركر القريبة منها وضيق عليها

---

(1) النويري، مصدر سابق، ج31، ص 36.

(2) محمد إلياس أبو مصطفى، دور الخطر المغولي في توحيد الجبهة الداخلية للماليك، غزة، الجامعة الإسلامية، (رسالة ماجستير منشورة، بتاريخ 2016م)، ص 16.

(3) العمري، مصدر سابق، ج27، ص 432.

(*) كركر: حصن قرب ملطية بينها وبين آمد. (ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج4)، ص 453.

(4) ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج4، ص 453.

الحصار[1]. حتى خلت من الغلال، فسأل أهلها مراحم السلطان، فأجيبوا إلى متلمسهم وتسلمها نواب السلطان[2]. وملأها بالرجال ومواد التموين وأقام فيها عدد من الفدائيين للإغارة منها على آمد، ثم صارت من حصون الإسلام[3].

ب/ فتح حصن الكختا: 682هـ/ 1283م:

هي حصن قريب من قطيبا وكركر على الشاطئ الغربي للفرات، وهي من أمنع الحصون وأعلاها على صخر شاهق، لا يلحقه رام ولا تصل أعاليه سهام وهو ممتنع من أكثر جوانبه[4].

وقد رأى المنصور ضرورة السيطرة على هذا الحصن والقلعة والمدينة بالحيلة، لتعذر إمكانية فتحها عنوة، فأرسل إلى وجوه أهلها ومناهم بالوعود الجميلة ووعدهم بمزيد من الإكرام[5]. فقام جماعة منهم وقتلوا حاكمها واسمه شجاع، وأقاموا مكانه رجلاً يدعى بدر الدين، فسلمها إلى قلاوون، الذي أحسن إلى أهلها وشحن القلعة بالغلال واستقرت في جملة الحصون الإسلامية، وصارت هذه القلعة شجاً في حلوق الأرمن وحصل الاستظهار بها على الغارات[6].

ج/ تحرير مدينة إياس: 682هـ/ 1283م:

كان ملك الأرمن في سيس قد هاجم حلب وأحرق مساجد فيها، وخالف شروط الهدنة التي عقدها معهم الظاهر بيبرس وآذى تجار المسلمين وأبدى عداءه للسلطان[7].

---

(1) ابن عبد الظاهر، مصدر سابق، ص 27.

(2) النويري، مصدر سابق، ج31، ص 26.

(3) ابن الفرات، مصدر سابق، ج7، ص 273.

(4) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، مصدر سابق، ص 244.

(5) النويري، مصدر سابق، ج31، ص 26.

(6) ابن الفرات، مصدر سابق، ج7، ص 274.

(7) المصدرنفسه ، ج7، ص 276.

وقد رأى المنصور أخذ الثأر لحلب، فأمر نائب حلب، بالإغارة على بلاد الأرمن فحاصروا مدينة إياس ودخلوها بالسيف ونهبوها وقتلوا مقاتليها، فلما وصلوا إلى باب إسكندرونة(*) أتاهم عسكر الأرمن فاقتتلوا فانهزم الأرمن [1] وانتصر المسلمون وساقوا خلف المنهزمين إلى تل حمدون ووصلوا إلى نهر جيهان وعاد العسكر وقد غنموا ما لا يحصى كثرة، وقد تم ذلك كله دون أن يفقد المسلمون رجلاً واحداً سنة 682هـ/ 1283م[2].

2/ تحرير حصن المرقب: 684هـ/ 1285م:

المرقب مدينة حصينة تشرف على ساحل بحر الشام وعلى مدينة بانياس [3]، احتلها الصليبيون سنة 1118م/517هـ على يد لاجين الصليبي، وحاول صلاح الدين فتح حصن المرقب، فامتنع عليه[4]، وكذلك حاول نائب حصن الأكراد سيف الدين الطباخي مباغتة الحصن بهجوم مرتجل وبدون استعداد، فوصلت أخباره لسكان الحصن فكمنوا له وأسروا من كان معه، فلما بلغ السلطان ذلك غضب منه وأنكر عليه ما قام به غاية الإنكار[5].

إن الإفرنج الذين بحصن المرقب عندما بلغهم هجوم التتر شنوا الغارات في بلاد المسلمين من سائر النواحي فلما رجع التتر عن سائر بلاد الشام، استأذن بلبان الطباخي صاحب حصن الأكراد المنصور في غزوهم، وسار إليهم في حامية الحصون وجمع التركمان وبلغ حصن المرقب ووقف أسفله، واستطرد له أهل الحصن حتى تورط في أوعار الجبل ثم هجموا عليه دفعة فانهزم[6]. ونالوا من المسلمين وبلغ الخبر إلى السلطان فخرج من مصر لغزوهم[7].

(*) إسكندرونة: مدينة أو حصن بينه وبين أنطاكية خمس وأربعون ميلاً. (الحميري، مصدر سابق،ج 1), ص 56.

(1) النويري، مصدر سبق ذكره، ج31، ص 27.

(2) ابن عبد الظاهر، مصدر سابق، ص 32.

(3) ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5، ص 108.

(4) محمد علي الصلابي، مرجع سابق، ص 566.

(5) شافع بن علي، مصدر سابق، ص 140.

(6) ابن خلدون، مصدر سابق، ج5، ص 456.

(7) سعيد عبد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية , مرجع سابق، ج2، ص 374.

غادر السلطان القاهرة في أواسط ذي الحجة 680هـــ/1281م ومعه زردخاناه[*] عظيمة فيها أحمال كثيرة من النشاب وآلات الحديد والنفط[1].

ثم وصل السلطان إلى دمشق يوم 22 محرم680هـــ/1281م ، وهناك أجرى عرضاً عسكرياً لجيشه بكافة أسلحته، وكان من ضمنها عدد من المجانيق التي صنعت في دمشق وكانت من أنواع مختلفة، منها المجانيق الفرنجية والقرابغا، ومجانيق شيطانية [*] أربعة، فقد أعد السلطان أعداد وأنواع من المجانيق لم يسمع بمثلها[2].

وبعد طلب الدعاء للجيش بالنصر، توجه السلطان المنصور إلى حصن المرقب يوم الثاني من صفر ووصل المرقب يوم 10 صفر من نفس السنة، ونصب عليه عدة مجانيق [3]، وتم توزيعها على أماكن معلومة لتكون ضربتها مؤثرة، واستعد النفاطون والحجارون للعمل.

وشرع العسكر في عمل الستائر للمجانيق، فلما انتهت الستارة المقابلة لباب الحصن، سقطت إلى بركة كبيرة فيها ماء مجتمع، وكان عليها جماعة كثيرة من أصحاب الأمير علم الدين الدواداري، فاستشهدوا رحمهم الله[4].

وقام المسلمون بحصاره حصاراً شديداً، وذكر أبو الفداء هذا الحصار، وقال: "لقد حضرت حصار هذا الحصن وعمري إذ ذاك اثنتي عشرة سنة، وهو أول قتال رأيته، وكنت مع والدي"[5].

في يوم الأحد 14 صفر 680هـــ/1281م طلب الإسبتار من أهل الحصن الأمان لأنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم بما فيها أسلحتهم وخيولهم على أن يسلموا الحصن، فرفض السلطان وأخذ يرمي الحصن بالمنجنيقات[1].

(*) زردخاناه: من "زرد" العربية و"خانة" بمعنى الدار أو البيت، أي دار الزرد، مصطلح كان يطلق في العهد المملوكي للدلالة على المخزن أو المكان الذي يحفظ فيه السلاح والعتاد الحربي وقد يطلق على السلاح ذاته (حسن حلاق، وعباس صباغ، مرجع سابق، ص 106).

(1) ابن عبد الظاهر، مصدر سابق، ص 78.

(*) مجانيق شيطانية: ضرب من السلاح وهو نوع من المجانيق (ابن عبد الظاهر، مصدر سابق)، ص 78.

(2) ستيفن رنسيمان، مرجع سابق، ج3، ص 668.

(3) سيد علي الحريري، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، القاهرة، الزاهراء للإعلام العربي، ط3، 1985م، ص 352.

(4) اليونيني، مصدر سابق، ج4، ص 240.

(5) أبو الفداء، مصدر سابق، ج4، ص 21.

وهكذا فإنه على مدى شهر كامل كانت المجانيق الإسلامية ترمي سور المرقب الحصين حتى جاء يوم 16 ربيع الأول680هـ/1281م ، حيث تمكن الألف وخمسمائة مهندس التابعين لقلاوون من قذف النفق الذي كان الصليبيون قد حفروه تحت واحدة من الأبراج الرئيسية والتوغل داخل دفاعات الحصن. وبعد انهيار هذه الأسوار، بدأت المقاومة بوضوح بلا جدوى [2]. وأذعن من فيه بالتسليم، وجعلت المراسلة في معنى ذلك [3]. فلما كان يوم الجمعة ثامن عشر من ربيع الأول680هـ/1281م سلم ورفعت عليه الأعلام الإسلامية، ونزل من به بالأمان على أرواحهم[4]. وكان يوماً مشهوداً، أخذ فيه الثأر من بيت الاستبار، ومحيت آية الليل بآية النهار [5]. وارتاع سكان عكا لسقوط هذا الحصن وتمسكوا بالمعاهدات التي وقعوها مع السلطان[6].

ثم جهز السلطان أهله إلى طرابلس. فساروا إليها بحراسة جند السلطان دون أن يعترضهم أحد. وقد أرسلت كتب البشرى بهذا الفتح العظيم فوصلت دمشق يوم الحادي والعشرين من ربيع الأول[7]، جاء فيها: "... سلكت إلى ذلك الحصن أعلى مرقى، والسعادة قد بدلت بيعه مساجد ومحاربيه قبلة، وكانت شرقاً، فأصبح يدخل في ملك الإيمان، وأذعنت بالطاعة فأخرس جرس الجرس به صوت الأذان"[8].

وكان الاستيلاء على حصن المرقب خطوة كبرى في تقويض أركان الصليبيين بالشام، نظراً لمناعة ذلك الحصن، فكان فتحه خسارة كبرى للصليبيين لأنه من أهم حصونهم[9].

ودخل السلطان المنصور بجيشه المنصور دمشق يوم الأحد الثالث من جمادى الأولى سنة 684هـ/1285م، وسافر منها إلى مصر بكرة الاثنين 18 جمادى الأولى ووصل قلعة الجبل يوم

---

(1) اليونيني، مصدر سبق ذكره، ج4، ص 240.
(2) جيمس واترسون، مرجع سابق، ص 270.
(3) أبو المحاسن، مصدر سابق، ج7، ص 315.
(4) الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ج51، ص 14.
(5) أبو الفداء، مصدر سابق، ج4، ص 21.
(6) ابن عبد الظاهر، مصدر سابق، ص 81.
(7) البرزالي، مصدر سابق، ج2، ق1، ص 63.
(8) القلقشندي، مصدر سابق، ج8، ص 399.
(9) شفيق جاسر، مرجع سابق، ص 134.

الثلاثاء 29 شعبان ومدح بعدة قصائد، ومن ذلك ما قاله العلامة شهاب الدين أبو الثناء، بقصيدة مطلعها:

الله أكبر هذا النصر والظفر ** هذا هو الفتح لا ما تزعم السير[1]

وهكذا بدأت الخطوات النهائية للإجهاز على الصليبيين في الشام، بعد أن انحلت أوضاعهم، وتخلى عنهم الغرب الأوروبي وأضاعوا من بين أيديهم فرصة محالفة مغول فارس[2]. فارس[2]. بخاصة بعد وفاة أبغا حامي المسيحيين وحليفهم في عام 680هـ/1281م[3].

3/ تحرير حصن مرقية: 684هـ/ 1285م:

بعد أن فتح السلطان المنصور حصن المرقب وأعماله، أخذ في إعمال الحيلة لفتح حصن مرقية[*]، وكان الظاهر بيبرس قد فتح مرقية إلا أن الصليبيين أعادوا احتلالها عقب وفاته، وكان صاحبها قد بنى في البحر برجاً عظيماً لا يرام. ولا يصله النشاب، ولا حجر المنجنيق وحصنه[4]. وحصنه[4]. وأعانه على ذلك أمير طرابلس وإسبتارية حصن المرقب وهــــذا البرج بين أنطرســـــوس وبين المـــرقـــب فـــي البحـــر المـــالح قبالة مــــدينة مــــــرقية، فلحـــق المســـــلمين منه أذى كبير بسبب موقـــعه العسكري. وكان نواب حصن الأكراد لما عاينوا بناءه وعجزوا عن منع الصليبيين من تشييده، قد أقاموا بالقرب منه برجاً بقرية ميعار، غير أنـــه لـــم يضاهيـــه في المناعة، وعندما شاهد قلاوون حصن مرقية عزم على هدمه[5].

وعندما تيقن السلطان قلاوون من عدم إمكانية حصاره لافتقاره إلى مراكب حربية في ذلك الحين، فقد أرسل إلى أمير طرابلس طالباً منه هدم الحصن لأنه قد ساعد في بنائه، قائلاً له:

---

(1) أبو المحاسن، مصدر سابق، ج7، ص 317.
(2) سعيد بد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية, مرجع سابق، ج2، ص 375.
(3) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 675.
(*) مرقية: قلعة حصينة في نواحي حمص (ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج5)، ص 109.
(4) اليونيني، مصدر سابق، ج4، ص 241.
(5) عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 285 – 286.

"وهذا البرج أنت الذي عمرته في الحقيقة وأنت المؤاخذ به، فإما أن يهدم أو نأخذ من بلادك عوضاً عنه، ولن ينفعك صاحب مرقية وتندم حيث لا ينفع الندم" [1]. إلا أنه اعتذر بأن البرج ليس له، فلم يقبل عذره [2]. وأمام هذا التهديد لم يسع أمير طرابلس إلا الإذعان، فتوسط لدى صاحب الحصن مقابل جملة من المال، كما عوضه بعدة ضياع من إمارته بدلاً منه، فهدمه مرغماً وقد أرسل السلطان مائة حجار للمشاركة في الهدم نكاية بالصليبيين، فكانوا كما قال الله تعالى **(يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين)** [3].

وقـــــــد روع ذلك جموعـــــهم فـــي بلاد الشام فتقدمت أميرة بيروت بطلب عقد هدنة مع السلطان قلاوون، كما تقدم أمير صور بطلب عقد هدنة مماثلة أيضاً فوافق قلاوون[4].

4/ فتح اللاذقية[*]: 686هـ/ 1287م:

انتهز السلطان المنصور فرصة انشغال الصليبيين بمنازعاتهم الداخلية، فاستغلها بذكاء، وأرسل قوات عسكرية على رأسها الأمير حسام الدين طرنطاي للاستيلاء على اللاذقية وذلك سنة 686هـ/ 1287م[5]، وكانت اللاذقية آخر ما تبقى للصليبيين من إمارة أنطاكية [6]، وعندما وصلت القوات الإسلامية قريباً من المدينة انسحب منها الصليبيون إلى حصن قريب منها ويتصل بالبحر بواسطة جسر، فسقطت المدينة بيده دون مقاومة[7].

---

(1) ابن عبد الظاهر، مصدر سابق، ص 88.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ج51، ص 14.

(3) سورة الحشر ، الآية 2.

(4) عزمي عبد محمد، مرجع سابق، ص 75.

(*) اللاذقية: مدينة اللاذقية جليلة من أعمال حمص، ومنها إلى جبلة اثنا عشر ميلاً، ومن اللاذقية إلى أنطاكية ثمانية وأربعون ميلاً. وهي أجل مدينة في الساحل منعة وعمارة ولها ميناء عظيم (المهلبي , الحسن بن أحمد المهلبي، الكتاب العزيزي، أو المسالك والممالك، تحقيق: تيسير خلف، دمشق، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2006م)، ص 103.

(5) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 184.

(6) شفيق جاسر، مرجع سابق، ص 135.

(7) بسام العسلي، مرجع سابق، ص 329.

أما الحصن فقد وصفه ابن عبد الظاهر بقوله: "بأنه شمم في أنف تلك الجهات، وآفة عليها من أكبر الآفات، لطالما أصبح وأمسى حسرة في قلوب المسلمين، وذخيرة لأعداء الدين. وذلك لأنه في وسط البحر، لا تسلك إليه طريق من بر، ولا ينقب له سور، وكيف وخندقه البحر"[1].

ولما كانت ليلة السبت خامس من صفر 686هـ/ 1287م ، جاءت زلزلة عظيمة في جهة اللاذقية هدمت أكثر حصونها، قبيل مهاجمة المسلمين له، وقد ساعد ذلك على سقوطه [2]، لأمر يريده الله للمسلمين من الخير[3]، فنصب عليه الأمير حسام الدين المجانيق وشرع في مهاجمته إلى إلى أن تمكن من إحداث النقوب من جهة الأمكنة التي هدمتها الزلزلة وكشفته من جهة البحر، عندئذ لم يقو الصليبيون على المقاومة وطلبوا الأمان، فأمنهم على أنفسهم وأموالهم على أن يخرجوا منه تاركين ما به من عدد وسلاح، فتركوه وتوجهوا إلى جهات عدة، وتسلمه الأمير حسام الدين في 5 ربيع الأول/ 20 نيسان من السنة المذكورة[4].

سادساً: تحرير طرابلس[*]: 688هـ/1289م:

لم يبق أمام السلطان قلاوون بعد ذلك سوى فتح طرابلس التي تردى موقف الصليبيين بها عقب وفاة بوهيمند السابع سنة 686هـ/ 1287م، دون أن يترك وريثاً للعرش بها، في الوقت الذي كانت طرابلس في أشد الحاجة إلى قائد قوي وزعيم يتولى قيادتها[5].

لذلك أعلن فرسان طرابلس وتجارها عن قيام قومون – أي حكم بلد مستقل – في طرابلس، في الوقت الذي وصلت فيه الأميرة لوسي أخت بوهيمند ووريثته، فاستنجدت بالإسبتارية

---

(1) ابن عبد الظاهر، مصدر سابق، ص 151.

(2) جيمس واترسون، مرجع سابق، ص 271.

(3) ابن عبد الظاهر، مصدر سبق ذكره، ص 151.

(4) ستيفان رنسيمان، مرجع سابق، ج3، ص 681.

(*) طرابلس: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام بين اللاذقية وعكا، (ياقوت الحموي، مصدر سابق)، ج 1، ص 216.

(5) عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 287.

حلفاء أخيها في محاولة لاستعادة حقها الشرعي في حكم طرابلس [1]. ورد قومون طرابلس على ذلك بالاستنجاد بالجنوية. بل يذهب المؤرخ ابن تغري بردي إلى أن سير تلميه صاحب جبيل، ورئيس القومون الجديد استنجد بالسلطان المنصور وطلب منه أن يساعـــده علـــى تمـــلك طـــرابلس، علـــى أن تكـــون مناصـــفة، فسوعد إلى أن تم له مراده[2].

وحدث أن استجابت جنوة لنداء أهل طرابلس بإرسال بعض سفنها لمساعدتهم، ولم يلبث أن عقد سير تمليه اتفاقية مع جنوة، أصبحت بمقتضاها طرابلس تحت حماية الجنوية، وفي المقابلة التي تمت بين رئيس الجنوية والأميرة لوسي في صور، أبرمت اتفاقية بين الطرفين، وافقت لوسي بمقتضاها على جميع ما حصل عليه الجنوية من امتيازات في طرابلس، كما أقرت الحقوق التي حصل عليها القومون، مقابل موافقة الجنوية على إعلانها أميرة على طرابلس[3].

وهكذا أثبت الواقع مرة أخرى بأن تاريخ الصليبيين في بلاد الشام لم يكن سوى عملية انتحارية طائشة، فقد غدت إمارة طرابلس بعد وفاة بوهيمند في وضع يرثى له. ولا شك أن قلاوون كان يرقب الوضع في طرابلس وأدرك بأن الاستيلاء عليها بات ميسوراً، إلا أن ارتباطه معها بهدنة لمدة عشر سنين كان يحول دون مهاجمته لها. رغم ما حل بالصليبيين من وهن وضعف، وأخذ قلاوون يتحين أي فرصة يتخذها حجة له لمهاجمتهم، ثم تواترت إليه الأخبار من النواب بالشام، والمناصفات الساحلية، يشكون من حيف الفرنج الذين بطرابلس [4]، الأمر الذي أعطاه الحق في مهاجمة مدينة طرابلس فأعلن النفير العام لقواته استعداداً لماهجمتها، فعزم على حصارها وصمم على دمارها، وكتب إلى النواب بالممالك الشامية، والحصون الساحلية بتجهيز الجيوش إليها وإنفاذ المجانيق وآلات الحصار للنزول عليها واستحث المجاهدين لنصرة الدين[5].

---

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية , مرجع سابق، ج2، ص 377.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج7، ص 321.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية , مرجع سابق، ص 378.

(4) بيبرس الدوادار، مختار الأخبار، مصدر سابق، ص 87.

(5) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، مصدر سابق، ص 266.

إلا أن مقدم الداوية علم – عن طريق رشوة أحد أمراء المماليك وهو الأمير بدر الدين بكتاش – بنية المنصور قلاوون، فحذر أهل طرابلس من الخطر الذي بات يتهددهم [(1)]، فتناسى الصليبيون خلافاتهم، وتكتلوا للدفاع عن طرابلس، واستصرخوا إخوانهم في كل مكان لينجدوهم، فأرسل لهم هنري الثاني ملك قبرص أخاه عموري وبصحبته أربع شواني [(2)]. كما أسرع الاسبتار – رغم عدائهم الشديد لأهل طرابلس – إلى تقديم المساعدة لهم، وتناسى الجنوية خلافاتهم مؤقتاً وأرسلوا سفنهم للمساعدة، وازدحمت المدينة بالصليبيين والوافدين إليها من كل جهة [(3)]،ولكن مع ذلك كانت تعوزهم القوة اللازمة للوقوف أمام قلاوون[(4)].

لم يأبه السلطان قلاوون بتلك الاستعدادات الصليبية داخل طرابلس، بل قرر أن ينهي أمرها، فخرج بالجيوش المصرية من قلعة الجبل، وخيم بظاهر القاهرة يوم الخميس العاشر من المحرم 688هـ/ 1289م، ثم رحل يوم الثلاثاء خامس عشر المحرم قاصداً بلاد الشام، وكتب إلى جميع الجهات والحصون يأمرهم بتجهيز العساكر وإرسال المنجنيقات، وآلات الحصار إلى طرابلس. ثم وصل إلى دمشق يوم الاثنين ثالث عشر صفر من السنة نفسها[(5)]، بعد أن استراح بها بها أسبوعاً، تكامل خلاله وصول الجيوش الشامية إليه، ثم رحل منها على رأس جيوشه متوجها، إلى طرابلس فقدموا عليها كالجراد المنتشر[(6)].

ثم وصل إلى مشارف طرابلس، ولم يلق في طريقه أي مقاومة تذكر. فقد آثر الصليبيون التحصن داخل أسوار المدينة، وشرع في محاصرتها من الجهة الشرقية، ونظراً لكون المدينة محاطة من بقية الجهات بالبحر "وليس عليها قتال في البر إلا من جهة الشرق وهو مقدار قليل"[(7)].

---

(1) ستيفن رنسيمان، مرجع سابق، ج3، ص 684.

(2) المقريزي، مصدر سابق، ج2، ص 211.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية , مرجع سابق، ج2، ص 379.

(4) عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص 289.

(5) المقريزي، مصدر سبق ذكره, ج2، ص 211.

(6) حكمت بك شريف، تاريخ طرابلس من أقدم زمانها إلى هذه الأيام، تحقيق: منى حداد ومارون عيسى، طرابلس، دار شريف، ط1، ص 1987م، ص 63.

قليل"[1]. فقد عمد السلطان إلى نصب مزيد من المنجنيقات بلغت تسعة عشر منجنيق، منها ستة فرنجية وقرابغا ثلاثة عشر، وعدة الحجارين والزراقين ألف وخمسمائة نفراً[2].

بدأت الحرب على المدينة في حين واصل النفاطون والحجارون عملهم وتمكنوا من فتح ثغرة في سور المدينة الشرقي الذي كان في غاية المتانة والمنعة، واستمر الحال على ذلك فشدد عليهم التضييق وأذاقهم حرباً أشد من عذاب الحريق [3]. إلى أن تمكنت المنجنيقات من تهديم برج كبير للصليبيين في الركن الجنوبي الشرقي من السور وكذلك برج الإسبتارية الممتد إلى البحر، وأمام هذا الحصار الشديد أدرك معظم من بداخل المدينة أن لا جدوى من المقاومة، فقرر عدد كبير من البنادقة والجنويين الهرب عن طريق السفن الراسية في الميناء، الأمر الذي أربك المدافعين عن المدينة، ونتج عن ذلك أن هرب عموري ومعه عدد كبير من القادة الصليبيين إلى قبرص[4].

استغل السلطان المنصور ذلك الخلل الذي دب في صفوف الصليبيين بطرابلس، فشن هجوماً قوياً عليها، ووجدت قواته طريقاً إلى الداخل عبر السور الشرقي المتهدم،

وتدفقت بعددها إلى داخل المدينة [5]. ولما رأى الصليبيون عجز موقفهم، بادروا بالهرب إلى الميناء فنجا أقلهم في المراكب، وقتل غالب رجالها، وسبيت ذراريهم، وغنم منها المسلمون غنيمة عظيمة[6].

وقد وصف أبو الفداء الذي شهد الاستيلاء على طرابلس مع أبيه وعمه بعض من مشاهد الفتح، حيث يقول: "وكان في البحر قريباً من طرابلس جزيرة، وفيها كنيسة سنطماس، وبينها وبين البحر الميناء، فلما أخذ طرابلس هرب إلى الجزيرة المذكورة، وإلى الكنيسة التي فيها، عالم كثير

---

(1) أبو الفداء، مصدر سابق، ج4، ص 43.

(2) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، مصدر سابق، ص 266.

(3)ستيفن رنسيمان، مرجع سابق، ج3، ص 687.

(4) سيد علي الحريري، مرجع سابق، ص 276.

(5) العمري، مصدر سابق، ج27، ص 450.

(6) أبو الفداء، مصدر سابق، ج4، ص 23.

من الفرنج والنساء والصغار، وهذه الجزيرة بعد فراغ الناس من النهب عبرت إليها في مركب فوجدتها ملأى من القتلى بحيث لا يستطيع الإنسان الوقوف فيها من نتن القتلى[1].

وحدث أن جماعة من الصليبيين حاولوا النجاة بسفنهم واستقلوا مركباً في البحر فألقتهم الريح إلى الساحل فظفر بهم غلمان المسلمين فقتلوا وأسروا منهم[2].

ولما تم للسلطان المنصور الاستيلاء على طرابلس، أمر أن تهدم بما فيها من العمائر والدور والسور، لأن مبانيها تصدعت بفعل الرمي من المنجنيقات أثناء الحصار. ثم أمر بالبدء في بناء طرابلس الجديدة بعيداً عن شاطئ البحر، لتكون في منأى عن تهديد الأساطيل الصليبية مستقبلاً.

كان من أثر سقوط طرابلس أن أخل الصليبيون ببلاد الشام مدينتي بيروت وجبلـــــــــة، ثـــــــــم أقـــــــر ولـــــــــد صاحب جـــبيل عليـــها، علـــى ســـــــــبيل الإقـــــــــــطاع ، وأخـــــــذ منـــــــه معـــظـــم أموالها[3]،كما تسلم السلطان حصن أنفة وكان أيضاً لصاحب طرابلس، فأمر بتخريبه، ثم تسلم البترون وجميع ما هناك من الحصون والمعاقل [4]، ووصل الخبر إلى دمشق بفتح طرابلس يوم الأربعاء خامس عشر ربيع الآخر نصف النهار، فشرع في دق البشائر والزينة[5].

والغريب في الأمر أن سقوط طرابلس في أيدي المماليك لم يحدث ردود فعل عكسية بشكل قوي لدى الغرب كما كان متوقعاً [6]، وكان البابا نقولا الرابع والملك الإنجليزي إدوارد هما الوحيدان اللذان عزما على القيام بحملة صليبية جديدة في المشرق[7].

---

(1) بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة، مصدر سابق، ص 286.

(2) ابن كثير، مصدر سابق، ج13، ص 369.

(3) النويري، مصدر سابق، ج31، ص 49.

(4) البرزالي، مصدر سابق، ج1, ق1، ص 161.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، مصدر سابق،ج7 , ص 322.

(6) سعيد عبد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية , مرجع سابق، ج2، ص 269.

(7) محمد جمال سرور، مرجع سابق، ص 240.

والواقع أن استيلاء قلاوون على طرابلس، يعد إنجازاً عظيماً في مشروع تصفية الوجود الصليبي من الشرق الإسلامي، لذا فقد أحدث سقوطها في أيدي المسلمين دوياً هائلاً خفقت له قلوبهم في سائر أنحاء العالم الإسلامي، وكتبت البشائر إلى الآفاق بهذا النصر المبين فزينت له المدن وسر الناس بهذا النصر سروراً عظيماً وتبارى الخطباء والشعراء في وصفه، والتهنئة به، ومن ذلك ما مدح به الشاعر شهاب الدين أبو الثناء السلطان قلاوون بقصيدة مطلعها:

علينا لمن أولاك نعمة الشكر * لأنك للإسلام يا سيفه ذخر**[1]

سابعاً: الاستعداد لفتح عكا: 689هـ/1290م:

أخذ ضباط قلاوون يلحون عليه منذ اليوم التالي لانتصاره على طرابلس مؤكدين

أنه بات واضحاً أن ليس في مقدور أية مدينة فرنجية الاستعصاء على الجيش المملوكي وأنه ينبغي الهجوم فوراً على عكا ولكن السلطان قلاوون أبى، لقد وقع هدنة ولا يمكن أن ينكث بعهده[2].

وعلى إثر تحرير طرابلس قام البابا نقولا الرابع بالدعوة إلى حملة صليبية جديدة لحماية ما تبقى من معاقل الصليبيين في الشرق، ولما كانت البندقية صاحبة السيادة التجارية في عكا، وتهديدها من قبل المسلمين، يعني تهديد مصالحها التجارية الكبرى ببلاد الشام[3]. كان أن استجاب استجاب البنادقة لدعوة البابا، فأسهموا في إعداد حملة مكونة من ألف وستمائة مرتزق على شاطئ الأدرياتيك في صيف سنة 689هـ/1290م لإنقاذ عكا، وخرجت الحملة في عشرين سفينة تحت قيادة دوق البندقية نفسه ومعه عدد كبير من البنادقة، فضلاً عن متطوعة بقية المدن الإيطالية[4].

وعلى الرغم من وجود الهدنة المعقودة بين السلطان وحاكم عكا، إلا أن أفراد هذه الحملة، أرادوا فور نزولهم إلى البر أن يعبروا عن حماسهم الديني، فدفعهم جهلهم إلى مهاجمة التجار

---

(1) ابن تغري بردي، مصدر سبق ذكره، ج7، ص 323.

(2) أمين معلوف، مرجع سابق، ص 319.

(3) عزمي عبد محمد، مرجع سابق، ص 82.

(4) سعيد عبد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية , مرجع سابق، ج2، ص 381.

والفلاحين المسلمين في عكا [1]. واعتقدوا أن كل ذي لحية مسلم، وقد هلك أيضاً عدد كبير من المسيحيين وبخاصة السريان [2]. الأمر الذي أذهل أهل عكا من تلك الأعمال الهمجية. وتمكنت سلطات المدنية من استعادة الانضباط ولكن الأمر كان متأخراً جداً[3].

وعندما أحضرت ملابس الضحايا المسلمين إلى السلطان المنصور مضرجة بالدماء أقسم على الانتقام، فكان هذا نذير بتجديد الحرب بين المسلمين والصليبيين [4]، وقد راع ذلك أهل عكا، وخشوا عاقبة الأمر، فعقد مقدموهم مجلساً لبحث الموقف، واقترح مقدم الداوية تسليم المجرمين، إلا أن اقتراحه قوبل بالمعارضة من الرأي العام المسيحي في عكا [5]. واستقر الرأي على تقديم اعتذار جاء شكلياً تضمن أن الصليبيين الذين ارتكبوا هذه المذابح هم أجانب وأغراب خارجون على سلطة الحكومة، وبالتالي فالحكومة غير مسئولة عن تصرفاتهم[6].

لم يقتنع السلطان الذي خبر مكرهم وخبثهم بموقفهم هذا، كما رفض بشدة قبول أسفهم واعتذارهم، ولا سمعا منهم، وتوكل على ربه وأذن الأعداء بحربه [7]، ولما أجاز الفقهاء نقض الهدنة[8]، عهد إلى الأمير سنقر الأعسر بالاستعداد للحرب في بلاد الشام[9].

ولما كانت عكا قد اكتظت بمزيج غريب غير متجانس من الصليبيين فيها بعد أن فرت إليها بقايا العناصر المختلفة من أنطاكية وطرابلس وغيرها من المدن، فكان كل واحد منهم يسير في طريقه الخاص ويفكر بطريقته الخاصة، وينظر إلى الأمور من وجهة نظر المصدر الذي يمثله دون أن يحاول التعاون مع غيره[10].

---

(1) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 682.
(2) ستيفن رنسيمان، مرجع سابق، ج3، ص 691.
(3) جيمس واترسون، مرجع سابق، ص 276.
(4) ليلى عبد الجواد، مرجع سابق، ص 185.
(5) سعيد عبد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية , مرجع سابق، ج2، ص 383.
(6) ستيفن رنسيمان، مرجع سابق، ج3، ص 691.
(7) ابن عبد الظاهر، مصدر سابق، ص 177.
(8) محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 682.
(9) المقريزي، مصدر سابق، ج2، ص 216.
(10) عزمي عبد محمد، مرجع سابق، ص 84.

وبينما كان السلطان المنصور يعد للانقضاض على عكا إذا بالمنية تحول بينه وبين مبتغاه في آخر شوال سنة 689هـ/ 1290م، لكن أمانيه قد حققها بعده خلفه وابنه الملك الأشرف خليل[1].

وهكذا انتهت حياة السلطان قلاوون، بعد أن حكم أحد عشر عاماً وأشهر قلائل حقق خلالها الكثير من الإصلاحات الداخلية، والانتصارات الخارجية[2]، ففتح الفتوحات الجليلة مثل: المرقب، وطرابلس، وكسر جيش التتر على حمص، وكانوا في جمع عظيم، لم يطرق بلاد الشام مثله، رحمه الله تعالى ورضي عنه[3].

---

(1) زكي النقاش، الحروب الصليبية وما نتج عنها من علاقات اجتماعية واقتصادية وثقافية بين العرب والإفرنج، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط8، 1950م، ص 42.

(2) محمد حمزة إسماعيل، مرجع سابق، ص 27.

(3) أبو الفداء، مصدر سابق، ج4، ص 24.

الفصل الثالث

انتصارات الأشرف خليل وخلفائه من بعده

(689-702هـ/1290-1303م)

الفصل الثالث

انتصارات الأشرف خليل وخلفائه من بعده (689- 702هـ/1290- 1303م)

تم تقسيم هذه الفترة إلى مرحلتين هما :

المرحلة الأولى: عصر الأشرف خليل : 689- 693هـ / 1290- 1294م :

أولاً : الملك الأشرف خليل :

هو الملك أبو الفتح الأشرف صلاح الدين بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي ولد بالقاهرة عام 666ه/1267م ، وهو السلطان الثامن من ملوك التتر وأولادهم [(1)].

كان للمنصور أربعة أولاد من الذكور ، وهم الملك الصالح علاء الدين أبي الفتح علي وكان أكبرهم والأشرف خليل والأمير أحمد وناصر الدين محمد [(2)] وكان من أحبهم للملك المنصور ابنه الملك الصالح علاء الدين الذي ولاه ولاية العهد عام 1289م/688هـ ، وخطب له على منابر مصر بعد ذكر والده باسم سيف الدين الصالح ، لكن المنية وافته في حياة أبيه فخزن عليه حزنا شديـــدا[(3)].

ومن ثم فوض السلطان ولاية العهد بعده ، لولده الأشرف صلاح الدين خليل [(4)] فجلس في عرش السلطنة يوم وفاة أبيه في السابع من شهر ذي القعدة سنة 689هـ/1290م.

لم يكن المنصور يثق في الأشرف ولا في تصرفاته [(5)] ، لأنه كان خاملا في أيَّام أبيه بحسب رواية السيوطي [(6)].

---

(1) ابن تغرى يردي ، النجوم الزهرة ،مصدر سابق, ج8 ، ص 3-4

(2) سالم يونس محمد ، الملك الأشرف خليل وجهاده ضد الصليبيين ، الموصل معهد إعداد المعلمين مجلة التربية والعلم ، م 18 ، العدد :1, 2011م,ص 10

(3) أبو الفداء ، مصدر سابق ،ج13 ،ص367

(4) النويري ، مصدر سابق، ج31 ، ص 160

(5) ليلى عبد الجواد ، مرجع سابق، ص 187

(6) السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر ، تاريخ الخلفاء ، تحقيق : حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط1 ، 2004م) ، ص 339

كان الأشرف بطلاً شجاعاً ذا همة عالية ، ورياسة مرضية [1] . ، استفتح الملك بالجهاد وقد سار من أول حكمة على سياسة أسلافه إلى إخراج الصليبيين من بلاد الشام فكان أوّل أعماله حصار عكا متمما عزم أبيه [2] .

إن المتتبع للأحداث التاريخية يرى تخبط بعض المصادر في إعطاء صورة حقيقية للملك الأشرف خليل وذلك بالطعن به تارة ووصفه بعدم الأهلية تارة أخرى .

ثانياً: تحرير عكا 690هـ / 1291م :

تم احتلال عكا عام 587هـ/ 1188م في عهد سلطنة الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وأستمر إلى عهد الناصر قلاوون [5] حيث كانت هنالك معاهدة هدنة قائمة بينهم ولكن غدر الصليبيين بمهاجمة جماعة من تجار المسلمين وهم يؤدون صلاتهم في أحد المساجد بالقرب من عكا في مكان يسمي عين البقرة حيث أقاموا الأذان [6] فارتفع صوتهم مما أثار الصليبين فهجموا على المسلمين وقتلوهم في شعبان 689هـ / 1290م .

فأصبح السلطان قلاوون في حل من الهدنة ، وحاول الصليبيون تدارك الموقف بإرسال وفد إلى مصر للاعتذار عما بدأ منهم مدعين بأن الهجوم قام به فرنجة قدموا من الغرب وليس برضاهم [3(1)] ، فرفض الملك المنصور اعتذارهم .

عندما بدأ جيش المنصور بالتحرك إلى بلاد الشام أدركته المنية فجأة في ذي القعدة 689هـ/1290م ، فارتاح سكان عكا لهذا الخبر ولكن إلى حين [2]، إلا أن وفاة المنصور في هذا الوقت لم يكن لها أي أثر في تبدل الموقف السياسي بين المماليك وبين ما تبقى من الإمارات

---

(1) الجبرتي , عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والاختيار ، ج 1 ، القاهرة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط 1 ، 2012م ص 30

(2) لويس شيخو ، مصدر سابق ، ج 1 ، ص 329

(5) سالم يونس محمد ,مرجع سابق , ص 15 .

(6) ابن أيبك, الدوادار أبوبكر بن عبد الله , كنز الدرر وجامع الغرر,ج 9, تحقيق:هانس روبرت ,القاهرة ,عيسى البابي الحلبي , ط1 , 1982م , ص301 .

(1)سعيد عبد الفتاح عاشور,العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام , بيروت , دار النهضة العربية ,ط 2, 1976م , ص74.

(2) محمود سعيد عمران , مرجع سابق , ص 338 .

الصليبية في بلاد الشام وقد أمر ابنه وخليفته الأشرف الخليل بإتمام المشروع الذي كان قد بدأه أبوه وهو فتح عكا وإخراج الصليبيين كافة من بلاد الشام [3]

واستبشر الصليبين بسماع أخبار الخلافات التي دبت بين أمراء المماليك حول ولاية العرش ، وذلك عندما حاول الأمير حسام الدين طرنطاي تدبير مؤامرة لإقصاء الأشرف خليل من منصب السلطنة بعد وفاه والده . إلا إن حلمهم ذلك ما لبث أن تبدد بعد أن نجح الأشـــرف خليل في التغلب على هذه المؤامرة ، وتهدئة الأمور داخل السلطنة المملوكية ، ومن ثم الشروع مباشرة في إتمام مشروع والده بطرد الصليبين من عكا[4]

كانت عكا آخر مدينة كبرى باقية للصليبين بالشام، فضلا عن أنها غدت مركز مملكة بين المقدس الصليبية منذ استيلاء الصليبين على بيت المقدس، ولذلك أدرك الصليبيون أن ضياعها يعني نهاية عهدهم بالشام[1] فحاول أمراؤهم التوسل إلى السلطان الأشرف خليل ، بأن أرسلوا إليه رسلهم يطلبون منه العفو فلم يقبل منهم ما اعتذروا به [2]

وأخذ في إكمال الاستعدادات التي كان والده قد بدأها لحربهم فأصدر أوامره لنوابه ببلاد الشام باتخاذ الأهبة، وتجهيز وسائل النقل لحمل الذخائر وآلات الحصار إلى أسوار عكا. وفى هذا يقول ابن الفرات: (فجهز أعداد المجانيق من دمشق المحروسة وبرزت إلى ظاهرها في مستهل ربيع الأول 690هـــ/1291م ، وتكامل ذلك في ثاني عشر من ربيع الأول، وتوجه بها الأمير علم الدين سنجر أحد أمراء الشام ثم فرقت على الأمراء مقدمي الألوف ، فتوجه كل أمير بما أمر بنقله ثم توجه الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنة بدمشق في آخر الجيش ببقية العسكر في العشرين من ربيع الأول[3])، وندب الملك الأشرف أيضا الأمير سيف الدين طغربل إلى الحصون

---

(3) محمد سهيل طقوش ، مرجع سابق ، ص 203

(4) بيبروس الدوادار ، زيدة الفكرة ،مصدر سابق , ص 278

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصليبية (القاهرة) الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ط 1964,1م ص 47.

(2) المقريزي ، مصدر سابق ، ج2 ، ص 222

(3) ابن الفرات ، مصدر سابق ، ج8, ص 70 .

والممالك يستحثهم على سرعة تجهيز المجانيق والآلات ، فبادر النواب إلى ذلك ، ووصل الملك المظفر صاحب حماة إلى دمشق في يوم الاثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول690هـ/1291م بعسكر حماة وبصحبته مجانيق وزردخاناه [1]

ووصل الأمير سيف الدين بلبان الطباخي ، وصحبته عسكر طرابلس وحصن الأكــــــراد وحـــصـــــــن عكـــار وحـــمص وباقــــــــي الحصـــــون ومـــــعهما المجــــــــانيق والـــــزردخــــانــاه ، وتوجه الجميع إلى حصار عكا [2] ووصل سائر النواب بالممالك الشامية وعسكرها إلى عكا .

وبدأ المسلمون في مهاجمة عكا، وأمام ذلك الهجوم حاول فرسان الداوية مهاجمة قوات الملك المظفر صاحب حماة ، إلا أن العساكر تكاثرت عليهم فولى الفرنج منهزمين [3] كما لقي الإسبتارية المصير نفسه عندما حاولوا تكرار ما فعله الداوية [4] أستمر حصار المسلمين للمدينة حتى تداعت تحصيناتها ، وكان أول الأبراج انهيارا هو البرج الذي أقامة الملك هيو وبعده دمر المقاتلون البرج الإنجليزي، وكان آخر الأبراج سقوطا هو البرج المعلون الواقع في زاوية الحصن[5].

ووصل في شهر جمادى الأولى 690هـ/1291م الملك هنري الثاني قادما من قبرص على رأس مائتين من الفرسان ، وخمسمائة من المشاة وقدر كبير من المؤن والإمدادات [6] أقلتهم أربعون سفينة ففرح الصليبيين بقدومه ، وجرى استقباله بكل مظاهر البهجة والسرور، واشعلوا نيرانا لم يُر مثلها ، فرحا به ، وتشجعوا على الثبات والمقاومة [7] ولم يكد يهبط على الأرض

---

(1) البرزالى ، مصدر سابق ، ج1 , ق 2 ، ص 223 .
(2) ابن الجزري، مصدر سابق ، ج1 ، ص 543 .
(3) أبو الفداء , مصدر سابق , ج4 , ص25 .
(4) عزمي عبد محمد ,مرجع سابق , ص88 .
(5)ستيفن رنسيمان , مرجع سابق , ج3 , 701 .
(6) محمد سهيل طقوش , مرجع سابق ,ص 205 .
(7) أبن تغرى بردي, النجوم الزهرة ، مصدر سابق ، ج8، ص 6

حتى تولى القيادة ، غير أنه اتضح له بعد ذلك أن الأمر لا يخلو من الصعوبة بسبب قلة المدافعين وكثرة المهاجمين[1].

فحاول التفاهم سلميا مع السلطان الأشرف فأرسل فارسين من فرسان المعبد إلى السلطان يسأله لماذا خرق الهدنة ، ويعده بالإنصاف من أية مظالم ، واستقبلهما الأشرف خارج الخيمة ، وقيل أنه قبل أن يبدأ بتسلم الرسالة سألهما باقتضاب ما إذا كانا قد أحضرا مفاتيح المدينة ، وعندما اجابا بالنفي قال : أنه يريد المكان ولا يعبأ بمصير السكان ووعدهم انه سوف يبقي على السكان إذا استسلموا له .

وعندما أخفقت محاولة هنري في التفاوض مع السلطان الاشرف لعقد الصلح عزم على الدفاع عن عكا حتى النهاية ، ولكنه سرعان ما فقد الأمل في إنقاذها بسبب انحلال أمر الصليبين واختلاف كلمتهم وعساكرها [2] ، أما ما كان من الملك الاشرف ، فلما كان يوم الثلاثاء ثالث شهر ربيع الآخر من هذه السنة خرج بجيشه الكبير من القاهرة وتوجه بالعساكر المنصورة إلى جهة الشام [3] ، فوصلوا إلى دمشق في يوم الاثنين سابع شهر ربيع الآخر 690هـ/1291م ، وفى يوم يوم الخميس وصل الملك الاشرف إلى المنزلة بعكا, ووصلت المجانيق إلى عكا في اليوم التالي وهي اثنان وتسعون منجنيقا فنصبت وتكامل نصيبها فى أربعة أيام وأقيمت الستائر [4]

كما أصدر السلطان الاشرف في الوقت نفسه أوامره إلى نائبه على الكرك الأمير بيبرس الدوادار بتجهيز العساكر وأدوات الحصار إلى عكا وفى ذلك يقول بيبرس عن نفسه في كتابه زبدة الفكرة : (وكنت حينئذ بالكرك فلما بلغني أمر هولاء الغزاة ووردت على مراسم السلطان بتجهيز الزردخاناه والآلات تاقت نفسي إلى الجهاد ، فطالعت السلطان بذلك ، وسألته أن أصير إلى هنالك لأساهم في ثواب الغزو وأشارك ، فأذن لي في الحضور ، فجهزت من الزردخاناه المانعة

---

(1) محمد سهيل طقوش ، مرجع سبق ذكره , ص 205

(2) النويري ، مصدر سابق ، ج 3 ، ص 197

(3) عبد العظيم رمضان ، مرجع سابق , ص 528

(4) أبن تغرى بردي , النجوم الزهرة ، مصدر سابق ، ج8، ص 5

والآلات النافعة ، والرجال المجتهدين ، والرماة والحجارين ، وتوجهت ملاقيا السلطان فوافيته ، وقد وصل غزة فلقيت منه إكراما وابتساما وسرت في ركابه إلى عكا) [1] .

وبعد أن اكتملت استعدادات السلطان الاشرف أمام عكا ، جد المسلمون في حصارها واجتمع عليها أمم لا يحصون [2] وبدأ هجومه الكاسح على المدينة يوم الجمعة السابع والعشرين من جمادى الأول سنه 690هـ/ أبريل 1291 م ، حيث أخذت قواته في مهاجمة أسوار المدينة وضربها بالمجانيق وقذفها بالحجارة الثقيلة وقدور النفط المشتعلة حتى تمكنت من إحداث الثقوب في الأسوار الخارجية [3] في الوقت الذي والى الرماة فيه رشق المدينة بالسهام بشكل فعّال ، مما ولد حالة من الإحباط , لذلك عاد هنري الثاني ومعه جميع قواته وفرسانه , ولا شك أن ذلك كان له أسوأ الأثر في نفوس الصليبيين المدافعين عن عكا [4] .

استقل السلطان الأشرف ذلك الخلل وقذف بكل قواه في المعركة ، واندفعت كتائب عسكره إلى المدينة الواحدة بعد الأخرى ، ولم يلبث المسلمون أن شقوا طريقهم إلى المدينة [5] .

وبذلت حامية عكا الكثير من الجهد في سبيل الدفاع عنها إلا أن ذلك لم يجد نفعا أمام حماس المسلمين وإصرارهم على اقتحام المدينة . الأمر الذي ولد كثيرا من الهلع والخوف في نفوس الصليبيين المدافعين عن المدينة ، فالتجأ كثير منهم إلى الأبراج المتبقية كما أبحر عدد كبير منهم بالسفن التي كانت راسية في المرفأ باتجاه قبرص ،و يصف أبو الفداء الذي شارك في المعركة بنفسه أنه (لما هاجمها المسلمون هرب جماعة من أهلها في المراكب ، وكان داخل البلدة عدة أبرجه عاصية بمنزلة القلاع داخلها عالم عظيم من الفرنج وتحصنوا بها وقتل المسلمون وغنموا من عكا شيئا يفوت الحصر من كثرته ، ثم استنزل السلطان جميع من على الأبرجة ولم يتأخر

---

(1) بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة ،مصدر سابق , ص 278

(2) اليافعى أبو محمد عفيف الدين عبد الله ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج4 , بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1, 1997م , ص 157 .

(3) ابن الفرات مصدر سابق ,ج8،ص112

(4) سعيد بد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية , مرجع سابق ،ج2 , ص 386

(5) ستيفن رنسيمان ، مرجع سابق ، ص 703

منهم احد فأمر بهم فضربت أعناقهم عن آخرهم حول عكا [1]) وذلك ردا على أسلوبهم ذاته الذي مارسوه ضد المسلمين عندما سيطروا على عكا سنه 587هـــ /1188م [2].

واعتصم الداوية بدراهم التي كانت بارزة في البحر في الجهة الشمالية الغربية من المدينة واستعدوا للمقاومة، ولما رأى السلطان حصانة موقعهم ، عرض عليهم اتفاقا مشرفاً يقضي بالسماح لهم بالأبحار إلى جزيرة قبرص بكل أمتعتهم بشرط أن يستسلموا له، وهنا ظن الداوية أن القوات الإسلامية لن تستطيع الوصول إلى موقعهم مهما كان الأمر، وأرادوا خداع السلطان بإعلان الموافقة للتشفي منه، حيث وافق السلطاًن وأرسل جماعة من عسكره إلى ذلك المعقل الصليبي للتفاوض مع الداوية في الأمر فغلق الفرنج الأبواب ووضعوا فيهم السيف ورموا الصناجق وتمسكوا بالعصيان [3]. الأمر الذي أثار غضب السلطان فأصدر أوامره إلى قواته بمهاجمتهم في موقعهم ، وأحاطت القوات الإسلامية ببرجهم إحاطة السوار بالمعصم، وتكمن النقابون من نقبه ، وبعد قتال ضار بين الطرفين انهار البناء وسقط البرج ، وبانهياره سقط آخر معقل من معاقل المقاومة الصليبية بعكا ,وكان بمثابة الضربة القاضية التي نزلت بالصليبيين في بلاد الشام [4] مسجلا انتهاء آخر مقاومة للصليبيين بالبلاد الشامة. وهكذا سقطت عكا في أيدي المسلمين ، في يوم الجمعة السابع عشر من جمادى الثانية عام 690هـــ / السابع عشر من يونيو 1291م [5] بعد حصار طويل دام أكثر من أربعة وأربعين يوما ، وغنم المسلمون الغنائم ، وسبوا الحلائل, و كان عدد الأسرى ثلاثة آلاف والقتلى لا يحصوا. وبهذه المناسبة يبدوا أن السلطان الأشرف قد أفاد مما حدث بعكا في عهد صلاح الدين فأصدر أوامره عقب سقوطها إلى

---

(1) ابو الفداء ، مصدر سابق ، ج4 ، ص 25.
(2) عزمي عبد محمد ، مرجع سابق ، ص 90.
(3) أبن تغرى بردي ، النجوم الزهرة , مصدر سابق ، ج8، ص 7.
(4) محمد سهيل طقوش ، مرجع سابق , ص 207
(5) أمين معلوف ، مرجع سابق ، ص 320

قواته بتدميرها، وهدمت دورها إلى الأرض ودكت دكا [1] ليقطع بذلك كل أمل للصليبين، لما حاولوا استخدامها كراس حربة لإعادة الوجود الصليبي إلى المشرق الإسلامي[2].

والوقع أن السلطان الأشرف وصل باسترداد عكا عاصمة مملكة بين المقدس وآخر المعاقل الصليبية إلى قمة المجد السياسي والعسكري , وتوج بعمله هذا الجهود المضنية التي بذلها زعماء الجهاد الإسلامي على قرنين من الزمان .

ليضع نفسه في عدادهم [3] فضلا عما أدى إليه ذلك الحدث العظيم من مظاهر الابتهاج والسرور الذي عم العالم الإسلامي ، بعد أن سارع السلطان بإرسال البشائر إلى
كافة الأقطار الإسلامية والذي ظهر واضحا في القصائد التي قيلت في مديحه والإشادة بجهوده التي أثمرت استرداد عكا من أيدي أعدائه الصليبيين[4] .

ثالثاً : تحرير الساحل السوري :

بالرغم من أن معركة عكا كانت هي الحاسمة في قصة الصراع الإسلامي الصليبي، إلا انه كان يوجد إلى جانب عكا عدة مواقع صليبية كان من الضروري على السلطان الأشرف تصفيتها حتى يصبح القول بأن العمل الإسلامي ضد الصليبيين قد وصل غايته [5] ولعل أهم هذه المراكز ما يلي:

1- تحرير صور 690هـ / 1291م :

---

(1) أبو الفداء ، مصدر سابق ، ج4 ، ص 25

(2) حامد غنيم ، الجبهة الإسلامية في عهد الحروب الصليبية ج3 ،القاهرة ، مكتبة السياسية ط1 ، 1971م , ص 22.

(3) عبد الله سعيد محمد الغامدي ، الممالك ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى , (رسالة دكتوراه منشورة بتاريخ 1987م) ص 282.

(4) بيبرس الدوادار ، زيدة الفكرة، مصدر سابق ، ص 188.

(5) حامد غنيم مرجع سابق , ج 8 ، ص 222.

صور مدينة مشهورة عظيمة القدر كانت من ثغور المسلمين تقع شرق عكا على المتوسط [1] احتلها الفرنج سنة ثمان عشرة وخمس مائة [2].

تعتبر هذه المدينة من أمنع الحصون، ولكن حاميتها كانت قليلة العدد [3] فقام الصليبيون بتعميق خندقها الذي أوصلوه من البحر حتى صارت المدينة كالجزيرة في وسط الماء لا يمكن الوصول إليها ولا الدنو منها.

ويبدو أن السلطان الأشرف خليل عندما وصلت جيوشه إلى أسوار عكا بدأت حصارها تنبه لخطورة مدينة صور الحصينة [4] وأرسل إليها جيشا بقيادة الأمير علم الدين سنجر الجاشنكير ، وما أن اقترب منها حتى أدرك صاحبها آدم دي كغران صعوبة موقفة [5] ، وأبحر إلى قبرص ، فدخلتها القوات المملوكية في شهر رجب عام 690هـ / 1291م .

ثم وصل يوم الاثنين من الشهر بطاقة بفتح صور وهروب الفرنج منها ولم يجدوا فيها إلا دون الخمسين نفرا من مشائخ وعجائز, لأن رجالها كانوا قد رحلوا نجدة لأهل عكا [6]

2- **تحرير صيدا 15 رجب 690 هـ / 17 تموز 1291م :**

في شهر جمادي الأولى سنة أربع وخمسمائة ملك الفرنج مدينة صيدا و اتخذها فرسان الداوية معقلا لهم [7] ، وشيدوا بها قلعة على جزيرة قريبة من الشاطئ ، فأرسل إليهم جيش مملوكي بقيادة الأمير الشجاعي نائب دمشق في رابع رجب [8] فقرر الدواية الدفاع عنها إلا أنهم

---

(1) احمد إسماعيل على ، تاريخ بلاد الشام , دمشق , دار دمشق للنشر والتوزيع , ط3 ، 1994م , ص 32.

(2) أبى الهيجاء , عز الدين محمد بن أبى الهيجاء ، تاريخ أبي الهيجاء ، تحقيق : صحي عبد المنعم محمد ، القاهرة دار رياض الصالحين ، ط 1 ، 1993م ، ص 180.

(3) محمود سعيد عمران ، مرجع سابق ، ص 341.

(4) سعيد عبد الفتاح عاشور ، جهاد المماليك ضد المغول والصليبين ، مرجع سابق ، ص 283 .

(5) عزمي عبد محمد ، مرجع سابق ، ص 91.

(6) ابن الجزري ، مصدر سابق , ج 2 ، ص 46.

(7) النويري ، مصدر سابق , ج 2 ، ص 226.

(8) المقريزي , مصدر سابق ،ج 28 ,ص 268.

كانوا من القلة ما منعهم القيام بذلك فهجروا المدينة واعتصموا بالقلعة إلا إن هذا الاعتصام لم يغن عنهم شيئا ، وعبثا حاولوا النجدة من جزيرة قبرص [1] .

ولما شيد المهندسين المسلمين جسرا في عرض البحر للوصول إلى القلعة ، فقد الداوية الأمل في الصمود وأبحروا إلى انطرطوس ، فسيطرت القوات الإسلامية على القلعة والمدينة معا وذلك في منتصف رجب من سنة 690هـ/ 1291م [2] .

3- تحرير حيفا 690هـ / 1291م:

احتلها الصليبيون في سنة 587هـ/1188م ، وفى سنة 663هـ/1264م ، حررها الظاهر بيبرس وأمر بتدميرها ، ثم احتلها الصليبيون ثانية ، وحررها الأشرف خليل يوم 31/ تموز 1291م/690هـ ، بدون مقاومة وقتل رهبانها ودمرها[3].

4- تحرير بيروت 690هـ / 1291م:

لم يمض أسبوع على دخول صيدا حتى ظهر الأمير الشجاعي أمام بيروت ، وكان سكانها يأملون بما عقدوه من الهدنة مع المماليك أن يأمنوا من كل اعتداء عليهم ولكن القيادة المملوكية نبذت كل الهدن جانباً [4]، وأذعن قادة الحامية لأوامر الشجاعي ، فقدموا عليه ، إلا انه أسرهم [5] [5] مما فتَّ في عضد ابتاعهم الذين تخاذلوا عن الدفاع عن المدينة ، وفضلوا الفرار، ودخل الجيش المملوكي بيروت في نهار الأحد الثالث والعشرين من رجب سنة تسعين وستمائة 1291م/690هـ [6] فهدم أسوارها ، وحطم قلاع أسرة أبلين ، وحول كاتدرائيتها إلى

---

(1) سالم يونس ، مرجع سابق ، ص 19.
(2) البرزالى ، مصدر سابق ، ج 1, ق 2 ، ص 244.
(3) ستيفن رنسيمان، مرجع سابق , ج3، ص 312.
(4) محمود سعيد عمران ، مرجع سابق ، ص 341 .
(5) محمد سهيل طقوش , مرجع سابق , ص 208 .
(6) صالح بن على ، تاريخ بيروت ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ط1 ، 1998 م , ص 44.

مسجد[1]، وجمع سكانها من الصليبيين والنصارى المحليين وأكثرهم من الموارنة وأرسلهم إلى دمشق ومنها إلى مصر حيث خيرهم السلطان بين العودة إلى بيروت أو التوجه إلى قبرص , فتوجهوا جميعاً إلى الجزيرة المذكورة[2].

5- تحرير عثليث[*] 690هـ / 1291 م :

احتلها الصليبيون سنة 504هـ / 1110م وحررها صلاح الدين سنة 583هـ , ثم سقطت ثانية بيد الصليبيين سنة 614هـ , وأقام فيها فرسان الداوية والتيوتون قلعة حصينة ضخمة تعرف بقلعة الحجاج ، ثم ضاعفوا تحصيناتها حتى أصبحت القاعدة الأولى لفرسان الداوية في بلاد الشام [3] ، ويذكر اليونيني أنه كان يضرب بحصانة عثليث المثل لأن البحر يحيط بها من سائر جهاتها [4]

كان السلطان الأشرف قد جرد من عكا بدر الدين رمتاش التركماني بجماعة من التركمان للنزول حولها حتى لا يخرج منها أحد ، فأُخذت عكا وغيرها والتركمان مكانهم فلما بلغ أهل عثليث أخذ عكا وصور وصيدا وبيروت [5] وخلو الساحل من عُباد الصليب احرقوا حواصلهم وهربوا في البحر [6] , واخلوا الحصن في ليلة أول شعبان .

6- تحرير جُبيل 690هـ / 1291م :

---

(1)ستيفن رنسيمان، مرجع سبق ذكره , ج3 ، ص483.

(2) أبو الفداء ، مصدر سابق ، ج7، ص 32 .

(*)عثليث : اسم حصن بسواحل الشام ويعرف بالحصن الأحمر (ياقوت الحموي، مصدر سابق , ج 4)، ص 85.

(3)ستيفن رنسيمان ، مرجع سابق ، ج3 ، ص 484.

(4) اليونيني مصدر سابق ,ج 5 ، ص 30.

(5) الذهبي، تاريخ الإسلام , مصدر سابق، ج 51 ، ص 52.

(6) اليافعي , مصدر سابق ، ج 4 ، ص 209 .

بقيت في يد الصليبيين منذ سنة 1197م/596هـــ حتى عصر الأشرف خليل ولما سقطت عكا، أمر السلطان بتهديم جبيل وأسوارها، ثم ندب الأمير علم الدين الدواداري فسار إليها وأخرب أسوارها ، واذهب حصانتها ، وهدمها [1].

7- تحرير أنطرسوس 690هـ / 1291م :

احتلها الصليبيون بقيادة ريموند أمير تولوز في سنة 495 هـ ، وحررها صلاح الدين سنة 584هـ وبعدها دمر أبراجها الحصينة وابقي كنيسة العذراء المشهورة، وقد أعاد الصليبيون احتلالها وبقيت في أيديهم حتى عصر الأشرف خليل [2]وفى الخامس من شعبان 690هـ / 1291م هاجمها الأمير سيف الدين بلبان، فهرب أهلها إلى جزيرة أرواد ، ودخلت الجيوش الإسلامية المدينة وخربتها[3].

8- تحرير قلعة الروم [*] 691هـ / 1292 :

هي من أحصن القلاع وأعظمها في الارتفاع والامتناع ولا يتوصل إليها إلا من طريق حصينة المرتقى كثيرة العقاب [4] وأهلها نصارى تحت طاعة التتار [5].

توجه إليها الملك الأشرف بجميع العساكر المنصورة الشامية والمصرية من دمشق يوم الاثنين سادس عشر جمادي الأول ، وفى ثامن عشرين جمادى دخل حلب ، وفى ثامن جمادي الآخر نزل على قلعة الروم بجميع العساكر المنصورة ، واجتهد في حصارها وجد ، واعد لها من الآلات

---

(1) ابن الجزري ، مصدر سابق ، ج2 ص ، 55.

(2) محمد سهيل طقوش ، مرجع سابق ، ص209.

(3) اليونيني ، مصدر سابق ، ج5 ، ص 31 .

(*) قلعة الروم : قلعة حصينة في غربي الفرات مقابل البيرة ، بينها وبين سميساط ، كان بها مقام بطريق الأرمن ، وتسمي بالأرمينية كاغيكوس (ابن عبد الحق ، مصدر سابق، ج3)، ص 1118.

(4) بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة , مصدر سابق , ص 288 .

(5) الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، مصدر سابق , ج3 ، ص 375.

والمجانيق ما لا يُعد [1] . إلى أن افتتحها بالسيف قهرا يوم السبت حـادي عشـر رجـب ، وكـتب إلـى جميـع ولاتـه ، منشـورا بأنه غـير اسـم قلعـة الـروم باسم قلعة المسلمين [2] ، بعد أن كانت كرسي خليفة الأرمن [3]، فأمروا في الحال بدق البشائر في دمشق ، فبقيت البشائر تدق بالقلعة ودور الأمراء ، والشموع توقد بالليل سبعة أيام [4] وبارك الله لجيش المسلمين في سعيهم [5]

ورتب السلطان علم الدين سنجر الشجاعي لتحصين القلعة ، وإصلاح ما خرب منها، وجرد معه لذلك جماعة من العسكر ، وأقام الشجاعي وعمرها وحصنها إلى الغاية القصوى، وقد ترتب على فتحها أن أصبح الفرات حدا فاصلا بين الدولتين [6].

9- تحرير بهنسا (*) ومرعش (**) وتل حمدون (***) 692هـ / 1293م:

في شهر رجب 692 هـ / 1293م ، حضرت رسل الأرمن من لدن صاحب سيس، العاصمة الجديدة للأرمن وبعد أخذ ورد ثم الاتفاق على أن يسلموا السلطان ثلاث قلاع من أحسن قلاع صاحب سيس وهي بهنسا ومرعش وتل حمدون وكان ذلك تمام الفتح ، حيث أخذت بهنسا في رجب 692هـ / 1293م ، وأخذت تل حمدن في سابع رمضان ، ثم أخذت قلعة مرعش في أواخر رمضان ، ودقت البشائر لذلك[7]

---

(1) بيبرس الدوادار , مختار الأخبار ، مصدر سابق ، ص 92.

(2) وليم موير ، مرجع سابق ، ص 70.

(3) القلقشندي ، مآثر الإنافة ، مصدر سابق ,ج2 ، ص 122.

(4) اين الجزري ، مصدر سابق ، ج8 ، 101.

(5) أبو الفداء ، مصدر سابق ، ج13 ، ص 386 .

(6) ليلى عبد الجواد ، مرجع سابق ، ص 188.

(*) بهنسا : من حصون الشام الشمالية (أبو الفداء إسماعيل بن محمد ، تقويم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ط 1 ، 1850) ص 264.

(**) مرعش : من ثغور أرمينية (البكري , أبوعبدالله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ج 4 ، بيروت ، عالم الكتب ط3 ,1403ه) ص 1215.

(***) تل حمدون : من بلاد سيس (ابن العماد ، مصدر سابق ، ج 8، ص 15).

(7) الذهبي ,تاريخ الإسلام , مصدر سابق، ج52 ، ص 58 .

وقد علق أبو اليمن على نتائج هذا التطهير فقال (واتفق لهذا السلطان من السعادة ما لم يتفق لغيره من فتح هذه البلاد العظيمة الحصينة ، من غير قتال ولا تعب ، وأمر بها فخربت عن آخرها وتكاملت بهذه الفتوحات جميع البلاد الساحلية للإسلام [1] ، والتي كانت بأيدي الفرنج مدد متطاولة ولم يبق لهم فيها حجر واحد ، ولله الحمد والمنة [2] .

رابعاً اغتيال السلطان الأشرف :

كانت العداوة قد نشبت بين السلطان وبين نائبة بدر الدين بيدرا نتيجة دسيسة من الأمير شمس الدين بن السلعوس ، الذي أوهمه بأن أملاك بيدرا اتسعت بشكل يهدد السلطان نفسه ، وأوغر صدره عليه . فأقدم السلطان على انتزاع بعض الاقطاعات من نائبه . إلاَّ أن السلطان ما لبث أن خشي بأسه ، وشعر بتغير بيدرا عليه ، فحاول استرضاءه بألف دينار بعثها إليه ، لكن محاولته لم تنجح في رأب الصدع بين الرجلين [3] .

وتعتبر هذه الحادثة السبب الأبرز في القضاء على السلطان ، وتعيد مأساة قطز نفسها ، فاتفق كل من بيدرا وحسام الدين لا جين على قتله ، وتحينوا الفرصة لتحقيق مأربهم . وقد حانت الفرصة عندما خرج السلطان للصيد ، ونزل إثناء رحلته بتروجة وسمح لأمرائه بالتوجه إلى القاهرة حتى يعود من رحلته [4] وسرعات ما أرسل بيدرا إلى الأمراء الناقمين على السلطان ، فحضر الأمراء حسام الدين لاجين وشمس الدين قراسنقر ، وغيرهم ، وخرجوا متظاهرين

---

(1) أبو اليمن , عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل , ج 2 , تحقيق : عدنان يوسف ,عمان , مكتبة دنيس , ط1, ص 89

(2) جمال بن محمد السيد ، ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها ، ج 1 ، المدنية المنورة ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، ط1 ، 2004م ، ص 40 .

(3) ابن أبي الفضائل, مفضل بن أبي الفضائل المصري ,النهج السديد والدر الفريد بعد تاريخ ابن العميد ,تحقيق:محمد كمال الدين ,دمشق , دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ,ط1, 2017م ,ص403.

(4) لطفي احمد نصار ، وسائل الترفية في عصر سلاطين المماليك في مصر , القاهرة ، الهيئة المصربة العامة للكتاب ، ط1 ، 1999م ص 217.

بالرغبة في صيد الغزال في الصحراء ، مضمرين الغدر به ، وما لبث أن ضربه بيدرا بالسيف ثم تبعة الأمراء الآخرون الذين أجهزوا عليه بسيوفهم [1] وذلك يوم السبت الثاني عشر من شهر محرم عام 693هـ/ شهر كانون الأول عام 1294م . وتركوه صريعاً [2]

دام حكم السلطان الأشرف خليل ثلاث سنوات وشهرين ، برهن خلالها على أنه كان حاكما قديرا شديد البأس ، مهيبا في أعين الناس ، كان بطلا لا يكل الحروب ليلا ونهارا [3] .

المرحلة الثانية : الانتصارات في عصر خلفاء الأشرف خليل(69-702هـ/1295- 1303م) :

أولاً : العادل زين الدين كتبغا 694- 696هـ/ 1295م – 1297م:

هو مغولي من أسرى موقعة حمص الأولى عام 1261م/660، جعله قلاوون من مماليكه ، وتعهده بالتربية والتهذيب . فلما آلت إليه السلطنة، رقَّاه في وظائف الدولة حتى أضحى من كبار الأمراء، ولما قتل الأشرف خليل، وتولى الناصر محمد الملك – للمرة الأولى – وعمره تسع سنين جعله نائبا عنه [4] ، إلاَّ أن كتبغا استبد بأمر المملكة لصغر سن الناصر ثم بدأ له أن يخلعه ويتسلطن عوضه فاتفق مع أكابر الأمراء على ذلك فوافقوه وخلعوا الناصر في رابع عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة وتسلطن كتبغا [5] ، وتلقب بالملك العادل [6] .

اتصف كتبغا بقصر النظر السياسي، وقد أقدم على خطوات أدت إلى سوء سمعته بين الناس وكراهيتهم لحكمة لعل أهمهما :

---

(1) العصامي, عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، ج4 ، تحقيق : عادل احمد وعلى محمد , بيروت ، دار الكتب العلمية ،ط1 ، 1998 ص 26

(2) بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة , مصدر سابق , ص296

(3) محمد سهيل طقوش ، مرجع سابق ، ص210

(4) المرجع نفسه ، ص216 .

(5) العصامي , مصدر سابق , ج4 ، ص 26 .

(6) ابن سباط , حمزة بن محمد بن عمر ، تاريخ بن سباط ، ج 2 ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري , طرابلس ، لبنان ، جروس بروس ، ط1 ، 1993م ، ص 580 .

1 –أدى به ضعفه وقصر نظره أن ملأ مراكز الحكومة بأتباعه وأذنابه [1] ، فأبعد الأمراء ، وجعل نائبة في السلطنة ، حسام الدين لاجين ، الذي كان مستترا بسبب قتل السلطان الملك الأشرف [2].

2 –كان سيء الطالع . فقد أصيبت البلاد على أثر اعتلائه العرش بالقحط الوباء، واشتـــداد المجاعة ، وارتفـــاع الأسعار ، فتشـــاءم النـــــاس منـــه ومـــــن حكـــــمة ، وتمـــــنوا زواله[3] .

3 –رحب بالمغول العويراتية [*] الذين فروا إلى مصر على أثر اعتناق محمود غازان للدين الإسلامي [4] وكان هولاء لا يزالون على وثنيتهم ، لذلك كان طبيعيا أن يرحب بهم لأن السلطان كتبغا نفسه كان من جنس العويرات ، فمنحهم الإقطاعات ، واجرى عليهم الأرزاق ، وأنزلهم بالحسينية ، وقد أثار هذا الترحيب كراهية الناس له ، وحقد الأمراء عليه [5] .

ورأى السلطان كتبغا أن يزور بلاد الشام لإقرار الأمن فيها ، فدخل إليها بصحبة الأمير لاجين، وقد استغل هذا الأمير بعد السلطان عن عاصمته ودبر مؤامرة مع مناصريه ، لقتل كتبغا وفى نيته الحلول مكانه .

فلما استقر كتبغا بدهليزه على نهر العوجاء وتفرق مماليكه وغيرهم إلى خيامهم بغته حسام الدين لاجين فى دهليزه فما لحق بجميع أصحابة وهرب إلى دمشق [6] ، وأتيحت بذلك ، للأمير حسام الدين لاحين فرصة اعتلاء عرش السلطنة فانتزع الملك منه [1] وأعلن نفسه سلطناً .

---

(1) وليم موير ، مرجع سابق، ج4 ، ص 72.

(2) أبو الفداء ، مصدر سابق ، ج4 ، ص 31 .

(3) ابن عبد الظاهر ، مصدر سابق ، ص 219.

(*) العويراتية : نسبة إلى لفظ أويرات , وهي اسم جنس يطلق على قبائل مغولية سكنت الجزء الأعلى من حوض نهر ينسى بأواسط آسيا , وسموا كذلك الوافدية أو الوافدين(ليلى عبدالجواد, مرجع سابق),ص193– 194.

(4) أحمد عبد الكريم سليمان ، العنصرية وأثرها في الجيش المملوكي ، بيروت ، دار النهضة العربية للطاعة والنشر والتوزيع ، ط1 1988م , ص 43.

(5) المقريزي ، مصدر سابق، ج2 ، 565.

(6) ابن الوردي ، مصدر سابق , ج2 ، ص 234.

ثانياً: المنصور حسام الدين لاجين 696- 698هـ / 1297-1299م:

أتيحت الفرصة للأمير حسام الدين لاجين لتحقيق تطلعاته السياسية فاعتلى عرش السلطنة المملوكية، سنة 696هـ / 1297م. وعقد اجتماعا مع الأمراء لوضع خطة عمل مستقبلية تجنبه المؤامرات السياسية التي تعرض لها أسلافه فاشترط عليه الأمراء الذين بايعوه أن يكون معهم كأحدهم وان لا ينفرد بالرأي دونهم ، وأن لا يبسط أيدي مماليكه فيهم ، ولا يقدمهم عليهم [(2)] فاقسم لهم بألاَّ يستبد براية في أمر من الأمور . بعد أن أطمأن السلطان لاجين على ملكه من كتبغا ، بقي أمامه الناصر محمد فأبعده إلى الكرك وأوهمه أنه سيعيده إلى العرش عندما يبلغ سن الرشد ، ويصبح قادرا على أن يحكم بنفسه , وأن يقوم بالوصاية بدلا منه نظرا لصغر سنه[(3)]، بعد ذلك التفت إلى تدبير الشؤون الداخلية لدولته ، وتناسى وعوده التي أعطاها للأمراء عندما بايعوه بالسلطة ، فعزل الأمير شمس الدين قراسنقر ، وقبض عليه ، وعين بدلا منه الأمير سيف الدين منكوتمر [(4)] وتعتبر هذه التولية إيذانا ببداية نشوب المتاعب ضد حكمة , وذلك أن منكوتمر لم يليث أن انغمس في تدبير المؤامرة ليضمن العرش لنفسه [(5)]

نتيجة لذلك أستاء الشعب من حكمه المتعسف، ومن سوء أعمال نائبه منكوتمر، فحثوا المماليك الأشرفية على التخلص منه ، باعتباره أحد قتلة الأشرف خليل ، وشعر هذا السلطان بالخطر يتهدده من جانب حاشيته فأراد أن يصرفهم عن تدبير المؤامرات فشغلهم بالحرب في مملكة أرمينية الصغرى بناء على نصيحة منكوتمر [(6)]

---

(1) النعيمي , عبد القادر محمد ، الدارس في تاريخ المدارس ، ج 2 ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1990م ، ص 202.

(2) محمد سهيل طقوش ، مرجع سابق ، ص219.

(3) سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر المماليك ، مرجع سابق ، ص 224.

(4) النويري، مصدر سابق ، ج 31 ص 325.

(5) ليلي عبد الجواد ، مرجع سابق , ص 197.

(6) وليم موير , مرجع سابق ,، ص 73 .

كانت مملكة أرمينيا الصغرى تمر آنذاك بقلاقل داخلية نتيجة النزاع حول ولاية العرش حيث انتزع سمباد الحكم لنفسه من اخيه هيثوم الثاني ، وقد راقب المماليك هذه الأوضاع المضطربة واستقلوها فرصة لمهاجمة العاصمة الأرمينية سيس [1] .

كان الأرمن ، قد تنازلوا للسطان الأشرف عن بهنسا ومرعش وتل حمدون ، وجددوا الولاء والطاعة للمماليك ، وارسلوا إليهم الجزية ، إلاَّ إنهم استقلوا فرصة الاضطرابات الداخلية بعد مقتل الملك الشرف خليل وحاولوا استعادة نفوذهم على تلك المدن , مما دفع السلطان لاجين إلى تجهيز حملة عسكرية لمهاجمة المملكة الأرمينية[2] .

ترأس الحملة الأمير بدر الدين بكتاش وضمت عساكر من صفد وحمص ، وبلاد الساحل وطرابلس ، ورافق الحملة تقي الدين محمود صاحب حماة على رأس قوته وعندما وصل إلى حلب انضم إليه الأمير علم الدين سنجر ، فبلغ عدد قواته عشرة آلاف مقاتل[3] .

وأدرك الأرمن أنهم لا قبل لهم بالتصدي للجيش المملوكي فمالوا إلى المهادنة ، وأرسل ملكهم سمباد رسالة إلى السلطان يطلب العفو منه ، لكن الأمير لم يجبه وهو أمر طبيعي ، لأن هدف الحملة ليس فتح بلاد الأرمن بقدر ما هو عقاب للأمراء المعارضين بإبعادهم عن البلاد .ولذلك أرسل السلطان لاجين أوامر صارمة إلى قائد الحملة ، توجب زحف الجيش على مملكة أرمينيا .

ثم توزعت الفرق العسكرية المملوكة ، فتوجه الأمير بكتاش إلى الإسكندرونة عن طريق بغراس ، وهاجم تل حمدون ، ولكنه وجدها خالية [4] ، وتوجه الملك المظفر صاحب حماه ، والأمراء الآخرون إلى نهر جيحون ، ودخلوا دربند سيس في الرابع من شهر رجب عام 696هـ / شهر نيسان عام 1297م [5] .

---

(1) بيبرس الدوادار , زبدة الفكرة ، مصدر سابق ، ص 106.
(2) محمد سهيل طقوش ، مرجع سابق ، ص222،
(3) المرجع نفسه ، ص 223.
(4) البرزالي : مصدر سابق ، ج3 , ق1 ، ص 553 .
(5) وليم موير ، مرجع سابق ، ص 74.

وأغار صاحب حماه على مدينة سيس وضيقوا على أهلها واحرقوا دار الملك التي في البلد[1]، بينما سار بكتاش إلى أذنه، ولحق به باقي الفرق العسكرية، فاجتمع كل الجيش المملوكي أمام هذه المدينة، ثم هاجموها وقتلوا من ظفروا به من الأرمن ، ثم توجهوا إلى المصيصة، وأقاموا عليها ثلاثة أيام ، فنصبوا جسراً عبروا عليه إلى بغراس ، ونزلوا بمرج أنطاكية ثلاثة أيام تمهيداً لعودتهم[2].

ثم جاءت الأوامر بفتح تل حمدون ، فسار إليها الجيش فوجدها خاوية وقد انتقل الأرمن الذين بها إلى قلعة النجيمة ، ففتح المماليك قلعة مرعش وحاصروا قلعة النجيمة أربعين يوماً وافتتحوها صلحاً واخذوا أحد عشر حصناً منها المصيصة وحجر شعلان وحمص وغيرها واضطرب أهلها من الخوف فأعلنوا الطاعة ورجع العسكر إلى حلب [3]. حمَّل الأرمن ملكهم سمباد تبعة تلك الهزائم التي حلت بهم ، فعزلوه وعينوا أخاه قسطنطين بدلاً منه ، والذي كان يتمتع بفكر نير فلما " شاهد انتشار عساكر المسلمين في بلاده مال إلى السلام والاستسلام ، وأرسل إلى عساكر المسلمين انه سينفذ كل ما يرسم به ملك الإسلام وانه سيكون نائبه في بلاد الأرمن ، فتم الاتفاق على أن يتنازل عن البلاد والحصون الواقعة إلى الجنوب من نهر جاهان إلى دولة المماليك[4].

نهاية سلطان لاجين:

نتيجة للاضطهادات التي تعرض لها الأمراء المعارضين والمعادين للنظام فر هؤلاء إلى حمص واتفقوا على التخلص من السلطان ونائبه منكوتمر ، والراجح أن لاجين علم بالمؤامرة فقبع في القلعة لا يغادرها إلا للضرورة ، وسرعان ما حانت الفرصة للمتآمرين ، فتمكـــن الأمـــير كرجـــي المـــقرب مـــن السلطان ، بالاشتراك مع الأمير سيف الـــدين طقجـــي ،

---

(1) أبو الفداء ، مصدر سابق ،ج4 ص 11.

(2) ابن خلدون ، مصدر سابق ،ج5، ص470.

(3) المقريزي ، مصدر سابق ،ج1، ص481.

(4) محمد سهيل طقوش ، مرجع سابق ، ص226.

مقدم البرجية من قتل السلطان ، وهو يلعب الشطرنج ليلاً في قصره[1]، وفي رواية أخرى أنه قتل في الوقت الذي كان يتأهب فيه لصلاة العشاء [2]، في شهر ربيع الآخر عام 698هـ /16 يناير 1299م . ثم قُتل منكوتمر بعد قليل ، وقد حكم لاجين مدة سنتين وثلاثة أشهر [3]. ودبر الأمراء بعده أمور الدولة حتى قدم من الكرك السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون[4].

ثالثاً : الناصر محمد :698-702هـ/1299-1303م :

1-مواصلة الجهاد :

لم يلق السلطان الناصر محمد سيفه ، فبعد الانتصار على المغول والأعراب جاءت الأخبار بالبريد أن الصليبيين الذين طردوا من مدينة عكا في أيام السلطان خليل ، بدأوا يهددون السواحل في بلاد الشام بعدما استولوا على جزيرة أروادا [5]، فأخذ في الاستعداد لهم.

يلاحظ أن انتهاء الحركة الصليبية في بلاد الشام، لا يعني انتهاء الحروب الصليبية ، التي استمرت حتى وآخر العصور الوسطى ، فقد كان من الصعب أن يتخلى الغرب الأوربي عن الفكرة الصليبية تخلياً تاماً مفاجئاً [6]، إلا أنها خرجت من مجال السياسة العملي بعد سقوط عكا في في يد المماليك ، وطرد بقايا الصليبيين من بلاد الشام ، ولم يبق في يد المماليك سوى ثلاثة مواضع ، وهي مملكة أرمينيا الصغرى في قليقيا , وجزيرة أرواد التي استقر فيها الداوية , وجزيرة قبرص التي استمر حكامها على ولائهم للقضية الصليبية [7]. وإذا علمنا أن الغرب الأوربي شغل وقتذاك بما وقع في أوربا من مشاكل ومنازعات ، وأن المجتمع الغربي شهد ثورة

---

(1) وليم موير ، مرجع سابق ،ص74.

(2) حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر، ط 1 ، 1966م ، ص19.

(3) أبو الفداء ، مصدر سابق ،ج7، ص49.

(4) ابن عبد الظاهر ، مصدر سابق ،ص295.

(5) أسامة حسن ، الناصر محمد بن قلاوون , الرياض دار الأمل , ط1 , 1997م ص32.

(6) عبد الرحمن بن صالح بن صالح، مرجع سابق ، ص91.

(7) محمد سهيل طقوش ، مرجع سابق ، ص233.

اقتصادية[1]، وهو بصدد الانعتاق من عصر القرون الوسطى الضاغط، وخمدت في نفوس أبنائه جذوة الحماس الديني التي تدفع أمراؤه وحكامه للمسير إلى الشرق، لأدركنا أنه لم يعد بوسع هذا المجتمع أن يوجه حملات صليبية أخرى إلى الشرق الإسلامي [2]. ويعتبر سقوط عكا في يد المماليك ، خاتمة الصليبيين في الشرق بالرغم من استمرار تطلعات بعض الفئات الصليبية إلى استعادة مجد الصليبيين المندثر.

فقد سعى البابا نيكولاس الرابع لتجهيز حملة صليبية جديدة ، لكنه لم يجد من يلجأ إليه، وقد أصيبت هيبة البابوية بالشلل لإخفاق الحروب الصقلية ، فلم يعد الملوك يعبئون بتنفيذ الأوامر البابوية [3]، كما انهمك الملوك المتحمسين للفكرة الصليبية ، مثل إدوارد الأول: ملك انجلترا بمشاكلهم الداخلية[4].

والواقع أن ملكي قبرص وأرمينيا كانا أشد المتحمسين اهتماماً بالمشكلة نظراً لأن مملكتيهما أصبحتا في خط المواجهة ، غير أنهما كانا حريصين بالاَّ يستفزا السلطان [5]. إذ ترتب على مملكة أرمينيا الصغرى أن تواجه قوة الأتراك في الأناضول ، بالإضافة إلى قوة المماليك في مصر وبلاد الشام ، كما تحتم على ملك قبرص أن يهتم باللاجئين الصليبيين الذين فروا من الشرق ، يضاف إلى ذلك ، فقد نشبت النزاعات بين الأسرتين الحاكمتين في كل دولة.

أما الطوائف الدينية العسكرية التي أقلقها طرد الصليبين من الشرق، فقد نقلت نشاطها إلى ميادين أخرى ، فتوجه التيوتون إلى أملاكهم الواقعة على بحر البلطيق ، في حين اتخذ الدواية والإسبتارية جزيرة قبرص مقراً مؤقتاً لهم ، لكنهما انغمسا في المشاكل الداخلية للجزيرة، وتعرضا للمضايقة ، لذلك لم تسمح لهما أوضاعهما بتجهيز حملة صليبية جديدة دون تلقي مساعدة

---

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوربا في العصور الوسطى ،ج 1,بيروت , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , ط1 , 1976م ، ص354.

(2) محمد سهيل طقوش ، مرجع سبق ذكره ، ص233.

(3) ستيفن رنسيمان ، مرجع سابق ، ج3 ، ص490.

(4) سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية ، مرجع سابق ، ج1 ، ص492.

(5) ستيفن رنسيمان ، مرجع سبق ذكره ,ج3 ،ص490.

خارجية ، إلا أن الداوية ضايقوا المماليك بما كانوا يشنونه من غارات على السواحل ، خاصة طرابلس ، انطلاقاً من جزيرة أرواد التي كانت تحت سيطرتهم [1]

2- تحرير جزيرة أرواد:

كانت جزيرة أرواد تحت سيطرة الدواية ، وبنوا فيها سوراً وتحصنوا به وصاروا يقطعون الطريق على المترددين ، وكانت من اخطر الأماكن على أهل السواحل [12]، مما دفع بنائب طرابلس سيف الدين الكرجي للاستغاثة بالسلطان فسأل بإرسال أسطول إليها ، فجهز الناصر محمد قوة عسكرية في عام 702هـ / 1302م بقيادة نائب طرابلس يسانده أسطول بحري ، وتمكن النائب من فتحها وملكها وقتل من أهلها خمسمائة [3]، ووجد بها من سلاح الفرنج شيء كثير وعدة أسرى كان الفرنج يأخذونهم من تجارالمسلمين نحو ثلاثمائة نفس [2] ، ثم أخذ أسرى الفرنج إلى دمشق وهم قريب من المائة وخمسين [3]، وبذلك قضى على البقية التعسة من جنود الحرب الصليبية العظمى[4].

ثم غزا الإسبتار جزيرة رودس في عام 706هـ/1306م بمساعدة الجنوية وكانت تحت السيادة البزنطية واتخذوها وطناً آخر لهم ، وحكموها حكما مستقلا واستبدلوا اسمها القديم باسم فرسان رودس [5]، أما الداوية فقد نزحوا إلى بلدان جنوبي أوربا ، خاصة فرنسا لذلك فقد استثاروا حقد الناس بانشغالهم بالأعمال المالية حيث أحرزوا نجاحاً كبيراً وحصلوا على ثروات طائلة. وقد

---

(1) محمد سهيل طقوش , مرجع سابق , ص234 .

(2) ابن كثير ، مصدر سابق ،ج4، ص25.

(3) شفيق جاسر، مرجع سابق ، ص136

(2) ابن حجر العسقلاني , أبو الفضل أحمد بن علي ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج4 ، تحقيق: محمد عيد ،وحيدر أباد ، الهند ، دائرة المعارف العثمانية ، ط2 ، 1972م ، ص310.

(3) الصفدي , صلاح الدين خليل بن أيبك ، أعيان العصر وأعوان النصر ، ج 5 ، تحقيق: علي أبو زيد ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط1 ، 1998م ، ص84.

(4) محمد جمال سرور ، مرجع سابق ، ص244.

(5) وِل ديورانت وليام جيمس ديورانت , قصة الحضارة , ترجمة : زكي نجيب محمود وآخرين,بيروت,المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم , ط1, 1988م, ج15 ، ص62.

استغل فيليب الرابع ، ملك فرنسا ، ذلك الشعور لحل هيئة الدواية ، ومصادرة أموالها وعقاب أعضائها[1].

3-العلاقة مع مملكة أرمينيا الصغرى:

استمرت العداوة التقليدية بين المماليك والأرمن خلال الفترة التالية من حكم الناصر وحدث أن ارتقى هيثوم الثاني عرش مملكة أرمينيا الصغرى في عام 688هـ/1289م ، وسط مظاهر الفوضى والارتباك التي عمت المملكة نتيجة التنازع على العرش. ولم يتوان هيثوم الثاني عن التعاون مع مغول فارس والتحالف معهم ضد دولة المماليك البحرية ، وكذلك تحريض ملوك أوربا على غزو بلاد الشام [2]، خاصة بعد الضربة الأخيرة التي وجهها هؤلاء إلى المملكة الأرمينية في عهد السلطان لاجين وزار الملك الأرمني من أجل ذلك الإيلخان بايدو. ولما حل محمود غازان محل هذا الأخير ، في عام 694هـ/1295م ، أسرع هيثوم الثاني بتقديم فروض الولاء والطاعة ، وهو لا يزال يأمل في مساعدة المغول لوقف المماليك عند حدهم ، مما دفع غازان إلى مهاجمة بلاد الشام فسار بمجموعة وعبر الفرات [3] . واشترك هيثوم الثاني في هذه الغارة . كما انضم ملك الكرج إلى هذا التحالف ، في محاولة للقضاء على دولة المماليك[4].

ولما علم حاكم سيس المملوكي بحركة المغول ، ترك ما تحت يده من قلاع وقصد حلب. وقد نجح هيثوم الثاني في التقدم نحو دمشق ، وقد عزم على نهبها وتدميرها مقابل ما فعله المماليك بعاصمته ، لكن الأمير قبجق لم يمكنه من ذلك ، واقتصر دخوله إلى بلدة الصالحية [*]. فنهبها وأحرق مساجدها ومدارسها ، وقتل وسبى كثيراً من سكانها[5] ، وهكذا حقق الملك الأرمني الأرمني الانتقام لما حل ببلاده.

---

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوربا في العصور الوسطى ، مرجع سابق,ج2، ص272-273.

(2) أحمد مختار العبادي ، مرجع سابق ، ص256.

(3) أحمد بن ابراهيم الصابوني ، مرجع سابق ، ص35.

(4) محمد سهيل طقوش ، مرجع سابق ، ص236.

(*)الصالحية : قرية قرب الرها من أرض الجزيرة اختطّها عبد الملك بن صالح الهاشمي (ياقوت الحموي , مصدر سابق ,ج3), ص389.

(5) أبو الفداء ، مصدر سابق ، ج14 ، ص10.

وفي هذا الأثناء ، توقف الملك هيثوم عن دفع الجزية المقررة عليه للمماليك ، وخرج عن طاعتهم وانتمى إلى غازان ، واسترد جميع الحصون التي انتزعها المماليك ، مما دفع السلطان إلى تجهيز حملة كبرى لمهاجمة بلاد الأرمن[1].

قاد الحملة التي خرجت عام 700هـ/1301م الأمير بدر الدين بكتاش وأنضم إليها عندما وصلت إلى حماة نائبها الملك العادل زين الدين كتبغا ، وإتجه الجميع إلى العاصمة الأرمنية سيس وحاصروها ، وأحرقوا زرعها ، وغنموا شيئاً كثيراً وعادوا إلى دمشق[2].

ويبدو أن السلطان الناصر محمد لم يكتف بذلك وإنما أراد تأديب هيثوم الثاني وإنزال العقوبة به لانضمامه إلى المغول في حملتهم التي وجهوها إلى بلاد الشام في عام 702هـ/1303م ، فجهز حملة أخرى بعد انتصاره على المغول في موقعة شقحب [*]، بقيادة الأمير بكتاش ، قاصدين بلاد الأرمن في قليقيا ولم يلبث المماليك أن انتقموا لما حل بالصالحية ، فدخلوا العاصمة سيس للمرة الثانية ونهبوها ، وأحرقوا مزارعها وخربوا الضياع واسروا أهلها ، ثم هاجموا تل حمدون ، وأعادوا فتحها [2]، ولم يغادروا بلاد الأرمن إلا بعد دفع الملك الأرمني كل ما تأخر عليه من جزية مضاعفة.

ويبدو أن الملك هيثوم عاد إلى سيرته الأولى ، فامتنع مجددا عن دفع الجزية ، فأُرسل إليه جيشاً بقيادة الأمير سيف الدين قشتمر ، لكنه فشل في تحقيق الانتصار على الأرمن بسبب حلف الأرمن مع المغول والصليبيين ، واستطاعت قوى التحالف صد الحملة والتوغل بعيدا داخل الأراضي المملوكية.

---

(1) المصدر نفسه ، ج7 ، ص54.

(2) محمد سهيل طقوش ، مرجع سبق ذكره ، ص237.

* شقحب : قرية صغيرة تقع في شمال الغرب من جبل غباغب من أعمال حوران من نواحي دمشق في طريق مرج الصفر (م.م ثاير نومان مسير , واقعة شقحب (702ه)ودورها في صد العدوان المغولي ,مجلة ديالي ,العدد: 58 ,2013م , ص85 .

(2) الذهبي ,العبر في خبر من غبر , مصدر سابق , ج7 , ص 54.

حتى وصلت إلى غزة ، واصطدمت بقوات قشتمر ، المنسحبة وهزمتها ، وأسرت عددا كبيراً من الجنود [1] فأقلقت هذه الهزيمة الملك الناصر محمد ، فجهز جيشاً كبيراً بقيادة الأمير بكتاش الفخري ، الذي خرج إلى غزة ــفخشي هيثوم عاقبة الأمر ، وأرسل إلى قراسنقر نائب حلب الجزية المقررة عليه ، وناشده أن يشفع له عند الناصر محمد ، فأجابه الناصر إلى ما طلب ، وأمر بعودة الجيش إلى القاهرة [2] .

ثم ضعفت مملكة أرمينيا بعد ذلك ، وفقدت حليفها الطبيعي مغول فارس ، فلما اعتنق المغول الإسلام حاربوا أرمينية الصغرى ، ودمروها تدميراً عام 13.3هـــ وما بعدها.

وظلت الجيوش المملوكية بعد طرد الصليبيين تجوب الساحل من أقصاه إلى أقصاه بضعة أشهر ، في خطوة وقائية تدمر كل ما تعده صالحاً لنزول الصليبيين إلى البر مرة أخرى والتحصن فيه من جديد [3]

وبذلك تكاملت الفتوح واستعاد المسلمون جميع البلاد الساحلية ، وختمت صفحة الحروب الصليبية في بلاد الشام بعد أن مضى عليها قرنان من الزمان يصيبون من المسلمين ويصيب المسلمون منهم ،إلى أن من الله سبحانه وتعالى ، وله الحمد بتطهير البلاد منهم

---

(1) أبو الفداء , مصدر سابق , ج7 , ص64 .

(2)ابن خلدون , مصدر سابق , ج5 , ص481 .

(3) ديورانت , مرجع سابق , ج15 , ص 152 .

الخاتمة

عصر سلاطين المماليك من الفترات المثيرة في تاريخ المنطقة العربية والعالم الإسلامي عامة ، ومصر والشام خاصة ، إذ أن تلك الفترة الحاسمة تمثل منعطفاً مهماً في تاريخ الحضارة الإسلامية ، كما أنها تقع بين نقطتي بداية ونهاية فارقتين في تاريخ المنطقة وفي تاريخ العالم كله. فقد كانت البداية مصحوبة ببروز القوة الفرنجية الكاثوليكية في هجومها الصليبي علي المنطقة الإسلامية ، والهجوم التتري الوثني القادم من الشرق على المنطقة نفسها، وكان دورها التاريخي مرهوناً بنجاحها في التصدي لهذين الخطرين، وهو ما حدث فعلاً؛ إذ نجح سلاطين المماليك في استكمال المهمة التاريخية للدولة الأيوبية حتى تم لهم القضاء على الكيان الصليبي في العقد الأخير من القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري ، كما تمكنوا من ترويض العنف المغولي بجذبهم إلى الإسلام.

فالدولة المملوكية من أغني الدول بحكامها الأقوياء أمثال بيبرس وقلاوون والناصر محمد,الذين أسسوا دولة واسعة الأرجاء، خطب ودها ملوك أوروبا وآسيا، وأنتقل في عهدها مقر الخلافة العباسية من بغداد إلى القاهرة، وطبعت البلاط المملوكي بنظام خاص لم يكن موجوداً من قبل ونظمت الدواوين وحددت اختصاصات كبار الموظفين ، وأسست أول جيش نظامي في مصر في العصور الوسطي.

والواقع أن العصر المملوكي لم يكن عصراً عادياً من العصور الهادئة، وإنما هو عصر تجلت فيه حركة دائمة على مختلف الأصعدة، حروب في الخارج وتوسع وانتصارات ترتب عليها تحصين الشرق الأدنى الإسلامي ضد اعتداءات المغيرين والمغتصبين .

وبانتهاء الحروب الصليبية تكون قد انتهت صفحة صاخبة من الصراع بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي ، لتبدأ صفحة آخري . ذلك أن الفكرة الصليبية نفسها لم تنتهي ، وسوف تحملها جزيرة قبرص في القرن الرابع عشر الميلادي ، ثم يحملها قادة الكشف الجغرافي ووكلاء البرجوازية التجارية أمثال : ألبوكيرك وفاسكودا جاما وكيرال ودياز . وتستمر على طول العصور الحديثة ، حتى ترث الفكرة الصهيونية الفكرة الصليبية ، ويحل الصهيونيون الأوروبيون محل الصليبين الأوروبيين .

النتائج :

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها:

1 - إن الصراع حول ولاية العرش وما تبع ذلك من اغتيالات للحكام كان له تأثير كبير في ضعف العالم الإسلامي .

2 - إن قيام دولة المماليك جاء نتيجة لتفكك العالم الإسلامي ، وبالتالي بروزهم كقوة جديدة مسيطرة على المنطقة .

3 - إن أوضاع الصليبيين المتدهورة كانت عاملاً مهما في القضاء عليهم .

4 - التأكيد على أهمية العمل الدبلوماسي في التعامل مع الأعداء , وقد ظهر هذا العمل في سياسة سلاطين المماليك في حربهم ضد الصليبيين , فعندما يشعرون بقوة الصليبيين يعقدون معهم معاهدات الصلح , وعندما يشعرون بضعفهم يشنون عليهم الحرب .

5 - توحيد الصفوف عند نزول المحن والشدائد ، وبخاصة إذا كان الخطر المحدق يهدد الإسلام والمسلمين .

6 - التأكيد على أهمية العامل الديني والذي كان من العوامل الحاسمة في الحروب الصليبية ، ولذلك قابل المماليك الاندفاع الصليبي في الشرق ، باندفاع إسلامي مضاد ، كان كافياً لتحقيق تلك الانتصارات المذهلة التي أدت إلى طردهم من بلاد الشام .

التوصيات : يوصي الباحث بالآتي :

1_ دراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والحضارية في الدولة المملوكية ؛ حتى تتم تغطية هذه الفترة بالدراسات الكافية .

2_ أسباب الصراع حول ولاية العرش والنتائج التي ترتبت عليه .

3_ الوقوف على دور العناصر الغير عربية في نصرة الدين الإسلامي , ومساهمتها الحضارية .

4_ الوقوف على دور المماليك في القضاء على خطر الهجومي التتري على العالم الإسلامي .



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

_ القرآن الكريم .

أولاً: المصادر:

1-ابن أبي الفضائل , مفضل بن أبي الفضائل المصري ,النهج السديد والدر الفريد بعد تاريخ ابن العميد ,تحقيق:محمد كمال الدين ,دمشق , دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ,ط1, 2017م.

2-ابن أيبك الدوادار, أبوبكر بن عبد الله , كنز الدرر وجامع الغرر,ج 9, تحقيق:هانس روبرت ,القاهرة ,عيسى البابي الحلبي , ط1 , 1982م

3-ابن الوردي , عمر بن مظفر بن محمد، تاريخ ابن الوردي، ج 2، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1996م.

4-ابن العبري , يوحنا بن هارون بن توما، تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطوان صالحاني، بيروت، دار الشرق، ط3، 1992م.

5-ابن العماد , عبد الحي بن أحمد العكري، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 5، تحقيق: مصطفى عبد القادر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1431هـ.

6-ابن الفرات , ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، ج 7، تحقيق: قسطنطين زريق، بيروت، المطبعة الأميركانية، ط1، 1942م.

7-ابن الضياء , محمد بن أحمد بن الضياء ,تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف ,تحقيق :علاء إبراهيم وأيمن نصر ,بيروت , دار الكتب العلمية ,ط2004م .

8-ابن الغزي , كامل بن حسين بن محمد، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج3، حلب، دار القلم، ط2، 1419هـ.

9-ابن حجر العسقلاني , أبو الفضل أحمد بن علي ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج 4 ، تحقيق: محمد عيد ،وحيدر أباد ، الهند ، دائرة المعارف العثمانية ، ط2 ، 1972م .

10-ابن واصل , أحمد بن واصل بن جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1325هـ.

11-ابن كثير, أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، ج13، تحقيق: علي شيري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988م

12-ابن منقذ , مجد الدين أسامة بن مرشد، لباب الآداب، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، مكتبة السنة، ط2، 1987م.

13- ابن منظور, محمد مكرم بن علي، لسان العرب، ج 13، بيروت، دار صادر، ط 3، 1414هـ.
ابن سباط , حمزة بن محمد بن عمر ، تاريخ بن سباط ، ج2 ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري , طرابلس ، لبنان ، جروس بروس ، ط1 ، 1993م .
14- ابن عبد الحق , عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الإصلاح في أسماء الأمكنة والبقاع، ج1، بيروت، دار الجيل، ط1، 1412هـ.
15- ابن عبد الظاهر, محي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: هانس أرنست، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1962م.
16- ___________, محي الدين أبو الفضل عبد الله بن رشيد، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، القاهرة، الشركة العربية للطباعة والنشر، ط 1، 1961م.
17- ابن شاكر, محمد بن شاكر بن أحمد، فوات الوفيات، ج 1، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1973م.
18-ابن تغري بردي , يوسف بن تغري بردي بن عبد الله، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج7، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط1، 1963م.
19-__________ , مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1997م
20- بن خلدون , عبد الرحمن بن محمد بن محمد، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، ط2، 1988م.
21- ابن خلكان , أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان، ج4، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1971م.
22- أبو البقاء , صالح بن الحسين الجعفري , تخجيل من حروف التوراة والإنجيل , ج 1 , تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، الرياض، مكتبة العبيكان، ط1، 1998م.
23- أبو الهيجاء , عز الدين محمد بن أبى الهيجاء ، تاريخ أبي الهيجاء ، تحقيق : صحي عبد المنعم محمد ، القاهرة دار رياض الصالحين ، ط 1 ، 1993م .
24- أبو اليمن , عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل , ج2 , تحقيق : عدنان يوسف ,عمان , مكتبة دنيس , ط1.

25- أبو الفداء , إسماعيل بن محمد ، تقويم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ط1 ، 1850.
26- أبو الفداء , عماد الدين إسماعيل بن علي، المختصر في أخبار البشر، ج 2، القاهرة، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، 1325هـ.
27-أبو التراب , سيد بن حسين بن عبد الله، نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، جدة، دار ماجد عسيري، ط. 1419هـ.
28-أبو شامة , عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، تراجم رجال القرنين السادس والسابع، تحقيق: عزة العطار، بيروت، دار صادر، ط2، 1974م.
29-الأزهري , أبو منور محمد بن أحمد الأزهري، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق: محمد خير الألفي، الكويت، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط1، 1399هـ.
30-الإدريسي , محمد بن محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج 2، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1989م.
31- البدر العيني , محمود بن أحمد بن موسى، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج1،تحقيق:محمود رزق محمود, القاهرة,دار الكتب والوثائق القومية,ط2, 1431ه
32- البكري , أبو عبد الله بن عبد العزيز ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، ج4 ، (بيروت ، عالم الكتب ط3 ,1403,)
33-البرزالي , علم الدين أبي القاسم بن محمد، المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، ج1، ق1، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 2006م.
34- الديار البكري , كامل بن حسين بن محمد بن الحسين، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج2، بيروت، دار صادر، ط2، 1302هـ.
35-الجبرتي , عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والاختيار، ج 1 ، القاهرة مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط 1 ، 2012م .
36-الجزري , شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط 1، 1998م.
37- الزركلي , خير الدين بن محمود بن أحمد، الأعلام، ج 2، بيروت، دار العلم للملايين، ط 1، 2002م.

38- الحافظ المزي , يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج 1، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1980م.
39-الحميري , أبو عد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر الثقافية، ط2، 1980م.
40- اليونيني , قطب الدين أبو الفتح موسى، ذيل مرآة الزمان، ج 2، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، ط2، 1992م.
41- اليافعى , أبو محمد عفيف الدين عبد الله ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج4 (بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 1997م).
42- المهلبي , الحسن بن أحمد المهلبي، الكتاب العزيزي، أو المسالك والممالك، تحقيق: تيسير خلف، دمشق، دار التكوين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2006م.
43- المقريزي , أحمد بن علي بن عبد القادر، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 1، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م.
44- المراكشي , عبد الواحد بن علي التميمي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: صلاح الدين الهواري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 2006م.
45- النويري , أحمد عبد الوهاب بن محمد، نهاية الأدب في فنون الأدب، ج 31، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ط1، 1423هـ.
46- النعيمي , عبد القادر محمد ، الدارس في تاريخ المدارس ، ج 2 ، تحقيق : إبراهيم شمس الدين ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1990م .
47- السيوطي , عبد الرحمن بن أبي بكر، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1967م.
48- __________ , تاريخ الخلفاء ، تحقيق : حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط1 ، 2004م .
49- العمري , أحمد بن يحيى بن فضل الله، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج 3، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ط1، 1423هـ.
50-العسقلاني , شافع بن علي، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1998م.

51- العصامي , عبد الملك بن حسين بن عبد الملك، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ، ج4 ، تحقيق : عادل احمد وعلى محمد , بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1998 .

52- الصفدي, الحسن بن أبي محمد، نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 2003م.

53-الصفدي , صلاح الدين خليل بن أيبك ، أعيان العصر وأعوان النصر ، ج 5 ، تحقيق: علي أبو زيد ، بيروت ، دار الفكر المعاصر ، ط1 ، 1998م .

54- القلقشندي , أحمد بن علي بن أحمد، مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج2، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الكويت مطبعة الحكومة الكويتية، ط2، 1985م.

55- ________، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج3، تحقيق: يوسف الطويل، دمشق، دار الفكر، ط1، 1987م.

56- الذهبي , شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، العبر في خبر من غبر، ج 5، تحقيق: صلاح الدين المنجد، الكويت، مطبعة حكومة الكويت، ط1، 1984م.

57-________، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج 49، تحقيق: عمر عبد السلام تدميري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1993

58- بيبرس الدوادار, ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار زبدة الفكر في تاريخ الهجرة، تحقيق: دنالدس. ريتشاردز، بيروت، الشركة المتحدة للتوزيع، ط1، 1998م

59- __________، مختار الأخبار، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، ص 1993م.

60- زكريا القزويني , زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، ط1، 1984م.

61- ياقوت الحموي , شهاب الدين أبو عبد الله، معجم البلدان، ج 2، بيروت، دار صادر، ط 2، 1995م.

62- لويس شيخو, رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح، مجاني الأدب في حدائق العرب، ج 6، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ط3، 1991م.

63-الحريري , سيد علي الحريري، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، القاهرة، الزاهراء للإعلام العربي، ط3، 1985م.

ثانيا: الرسائل الجامعية :

1-حامد إبراهيم الشياب , العلاقات السياسية بين المماليك الجراكسة والعثمانيين في مصر وبلاد الشام , بيروت , جامعة القديس يوسف , (رسالة ماجستير غير منشورة , بتاريخ 1985م)

2-__________, ثورات العسكر في العصر المملوكي في مصر وبلاد الشام : 648-923هـــ/1249-1524م, جامعة النيلين ,(رسالة دكتوراه غير منشورة ,بتاريخ 1998م)

3- محمد إلياس أبو مصطفى، دور الخطر المغولي في توحيد الجبهة الداخلية للماليك، غزة، الجامعة الإسلامية، (رسالة ماجستير منشورة، بتاريخ 2016م.

4-عبد الله سعيد محمد الغامدي ، المماليك ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى , (رسالة دكتوراه منشورة بتاريخ 1987م).

5-عثمان عبد الحميد عشري , الأسطول والبحرية على عصر سلاطين المماليك في مصر : 648- 922هــــ/1249-1523م,جامعة النيلين ,(رسالة دكتوراه غير منشورة ,بتاريخ 1970م)

ثالثا: المراجع العربية :

1-أحمد إبراهيم الصابوني، تاريخ حماة، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم الثقافة، ط1، 2012 م.

2-احمد إسماعيل على ، تاريخ بلاد الشام (دمشق , دار دمشق للنشر والتوزيع , ط 3 ، 1994م .

3-أحمد عبد الكريم سليمان ، العنصرية وأثرها في الجيش المملوكي ، بيروت ، دار النهضة العربية للطاعة والنشر والتوزيع ، ط1 1988م

4-أحمد مختار العبادي، في التاريخ الأيوبي والمملوكي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ط1، 1992م.

5-أسامة حسن ، الناصر محمد بن قلاوون , الرياض دار الأمل , ط1 , 1997م.

6-الباز العريني، المماليك، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط1، 1967م.

7-بسام العسلي، قادة الحروب الصليبية المسلمون، بيروت، دار النفائس للطباعة والنشر، ط 1، 2012م.

8-جمال بن محمد السيد ، ابن قيم الجوزية وجهوده في خدمة السنة النبوية وعلومها ، ج 1 ، المدنية المنورة ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية ، ط1 ، 2004م.

9-جوزيف نسيم يوسف، الوحدة وحركات اليقظة إبان العدو الصليبي، بيروت، دار النهضة العربية، ط1، 1981م.

10-حامد غنيم ، الجبهة الإسلامية في عهد الحروب الصليبية ج 3 ، (القاهرة ، مكتبة السياسية ط1 ، 1971 م.

11-حسن إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط2، 1948م.

12-حسن حلاق وعباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأبوبية والمملوكية والعثمانية، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1999م.

13-حكمت بك شريف، تاريخ طرابلس من أقدم زمانها إلى هذه الأيام، تحقيق: منى حداد ومارون عيسى، طرابلس، دار شريف، ط1، ص 1987م.

14-حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر، ط1 ، 1966م .

15-زاهية الديجاني، الظاهر بيبرس بين المغول والصليبيين، بيروت، دار الكتاب العربي، ط 1، 1423هـ.

16-زكي النقاش، الحروب الصليبية وما نتج عنها من علاقات اجتماعية واقتصادية وثقافية بين العرب والإفرنج، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط8، 1950م.

17-سعيد عبد الفتاح عاشور ,العصر المماليكي في مصر وبلاد الشام ,بيروت ,دار النهضة العربية ,ط2, 1976م.

18-__________، أوربا في العصور الوسطى ،ج 1,بيروت , دار النهضة العربية للطباعة والنشر , ط1 , 1976م

19-__________، أضواء جديدة على الحروب الصليبية (القاهرة) الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ط 1964,1م.

20-__________، الحركة الصليبية، ج2، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1999م.

21-__________، نظم الحكم والإدارة في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1987م.

23-عثمان عبد الحميد عشري، دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، جامعة القاهرة فرع الخرطوم، وحدة الطبع والتصوير، ط2، 1992م – 1993م

24-شفيق جاسر أحمد محمود، المماليك البحرية وقضائهم على الصليبيين في الشام، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ط1، 1409هـ.
25-شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في النثر العربي، بيروت، دار المعارف، ط3.
26-الشيخ الأمين محمد عوض الله، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الخرطوم، مطبعة جامعة النيلين، ط1، 2008م.
27-صالح بن على، تاريخ بيروت ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ط 1 ، 1998 م
28-صبحي عبد المنعم، المغول والمماليك السياسة والصراع، القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2001م.
29-عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1995م.
30-عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، ط1، 1966م.
31-عبد العظيم رمضان، الصراع بين العرب وأوروبا، القاهرة، دار المعارف، ط1، 1983م.
32-عزمي عبده محمد أبو عليان، مسيرة الجهاد الإسلامي ضد الصليبيين في عهد المماليك، عمان، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط1، 1995م.
33-علي محمد الصلابي، الأيوبيون بعد صلاح الدين، دمشق، دار المعرفة، ط1، 2009م.
34-عماد الدين غانم، الملك الظاهر بيبرس، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط1، 2000م.
35-قاسم عبده قاسم، أثر الحروب الصليبية في العالم العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1987م.
36-__________، عصر سلاطين المماليك، الدوحة، دار الشرق، ط1، 1994م.
37-__________، ماهية الحروب الصليبية، الكويت، عالم المعرفة، ط1، 1990م.
38-لطفي احمد نصار ، وسائل الترفية في عصر سلاطين المماليك في مصر , القاهرة ، الهيئة المصربة العامة للكتاب ، ط1 ، 1999م .
39-ليلى عبد الجواد إسماعيل، تاريخ الأيوبيين والمماليك في مصر والشام، عمان، دار الثقافة العربية، ب.ط، ب.ت.

40-محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، بيروت، دار الفكر العربي، ط1، 1990م.

41-محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، تونس، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1982م.

42-محمد جمال الدين سرور، دولة الظاهر بيبرس، القاهرة، دار الفكر العربي، ط1، 1960م.

43-________، دولة بني قلاوون، القاهرة، دار الفكر، ط1، 1947م.

44-محمد حمزة إسماعيل، السلطان المنصور قلاوون، قاهرة مكتبة مدبولي، ط2، 1998م.

45-محمد سهيل طقوش، تاريخ الحروب الصليبية، بيروت، دار النفائس، ط1، 2011م.

46-محمد علي قطب، أبطال الفتح الإسلامي الإسلامي، الإسكندرية، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2006م.

47-محمد ماهر حمادة، وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1982م.

48-محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط 1، 2000م.

49-محمود شاكر، العهد المملوكي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط5، 2000م.

50-محمود شلبي، حياة الملك الظاهر بيبرس، بيروت، دار الجيل، ط1، 1992م.

51-مفيد الزيدي، العصر المملوكي، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2003م.

52-نعيم فرح، تاريخ أوروبا السياسي في العصور الوسطى، منشورات جامعة دمشق، ط 2، 2000م.

53-نور الدين خليل، الظاهر بيبرس رعب الصليبيين، الإسكندرية، الفتح للطباعة والنشر، ط 1، 2005م.

54-وفاء محمد علي، جهود المماليك البحرية ضد الصليبيين، الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث، ط2، 1991م.

55-وليم موير، تاريخ دولة المماليك في مصر، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1995م.

رابعا : المراجع المترجمة :

1-أمين معلوف، الحروب الصليبية كما رآها العرب، ترجمة: عفيف دمشقية، بيروت، الفارابي، ط2، 1998م.

2-وِل ديورانت وليام جيمس ديورانت , قصة الحضارة , ترجمة : زكي نجيب محمود وآخرين,بيروت,المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم , ط1, 1988م.

3-ستيفن رنسيمان , تاريخ الحروب الصليبية,ج 3,ترجمة:السيد الباز الريني,بيروت, دار الثقافة,ط1,1969.

4-جيمس وأترسون، فرسان الإسلام، حروب المماليك، ترجمة: يعقوب عبد الرحمن، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011م.

5-عباس إقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة: محمد علاء الدين منصور، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 1989م.

6-نقولا زيادة، دمشق في عصر المماليك، ترجمة: نقولا زيادة، بيروت، نيويورك، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، ط1، 1966م.

خامسا : المجلات والدوريات :

1-عادل محمد نبهان، نظام البريد ودوره في الصراع بين المماليك والمغول، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، م8، العدد: 1، مارس 2011م.

2-عبد السلام جمعة، قادة المماليك الثلاثة، جامعة تكريت، كلية التربية، مجلة جامعة تكريت للعلوم، العدد 3، مارس 2013م.

3-م.م ثاير نومان مسير , واقعة شقحب (702ه)ودورها في صد العدوان المغولي ,مجلة ديالي ,العدد: 58 ,2013م .

4-سالم يونس محمد ، الملك الأشرف خليل وجهاده ضد الصليبيين ، الموصل , معهد إعداد المعلمين , مجلة التربية والعلم ، م 18 ، العدد :1, 2011م.